

شارل بودلير

سأم باريس

قصائد نثر



ترجمة: بشير السباعي

منشورات الجمل

طاق النشر والتوزيع

شعر

شارل بودليير

سأّم باريِس

قصائد نثر

ترجمة

بشير السباعي



CFCC



منشورات الجمل



إلى أرسين هوسيه

صديقي العزيز، أبعث إليك بعمل صغير لن يكون بالإمكان وصفه، دون إجحاف، بأنه لا فيل له ولا رأس، فكل شيء فيه، على التقى من ذلك، رأس وذيل في آن، بشكل تنويري ونهادي. وأرجو أن تأخذ في اعتبارك الراحة الرائعة التي يوفرها هذا الترتيب لنا، للجميع، لك ولتي وللقارئ. ذلك أن بوسعنا أن نقطع حينما نشاء، أثناء أحلام ينفذني ومواجسي، ولدت، المخطوط، والقارئ، لمراته. فأنا لا أخلق رغبة القارئ الجاهل بخيط حيلة نافذة لا نهاية له. حاول نزع ظفرك وسوف تعاود قطعنا هذا الخيال الأعوراني الالتحام دون صعوبة. مزقه شذر مذر إلى قطع عديدة، وسوف ترى أن بوسع كل قطعة أن تواصل الحياة مستقلة. وعلى أمل أن بعض هذه القطع سوف تكون مفعمة بالحياة بحيث ترضيك وتعود عليك بالمتعة، فإني أنجس على تقديم الثعبان كله هدية لك.

عندي اعتراف بسيط لود الإغواء به إليك. خلال تصفحي

للحرة العشرين على الأقل كتاب كوينزبوس برتران جاشيد الثيني
الشهير (لا يملك كتاب معروف لك ولي ولعوض أصداقنا كل
الحق في أن يعد شهيراً؟) خطر بيالي أن أحاول عمل شيء
مماثل وأن أطبق على تصوير الحياة الحديثة، أو بالأحرى حياة
حديثة وأكثر تجريدًا، النهج الذي طبقه على رسم الحياة
القديمة، الأخاذة بشكل مفرط الغرابة.

من هنا الذي لم يحلم، في أيام طموحه، بمعجزة نشر
شعري، موسيقي دون وزن ودون قافية، بالغ السلامة والحرارة
بحيث يمكنه التكيف مع الحركات الغنائية للروح ومع لموجات
الهواجس والتفاهات الوجدان؟

هذا المثل الأعلى الأسر المثلج إنما يولد طامة من لوليا
المدن الضخمة، من تقاطع علاقاتها التي تفوق الحصر. أنت
نفسك، صديقي العزيز، أتم نحاول أن نترجم إلى أغنية صحيحة
يشع الزواجج الصارة، وأن نعبر في نشر لحناي عن شئ
الإحباط المحزنة التي ترسلها هذه الصيحة إلى جميع الطوائف
العليا، مخترعة أعلى غيبات الشارع؟

لكنني، والحق يقال، أخشى من ألا تكون غيرتي قد جاءت
أعني بالعسرة. فلما أن بدأت العمل حتى أحسست ليس فقط
أنني مازلت بعيداً جداً عن نموذجي الرفيع المحاط بالأسرار،
بل أنني أخرج شيئاً (إن جازت تسمية هذا شيئاً) مختلفاً اختلافاً

قريباً، حادثاً لأمرء، في أن جميع من هدأ بمكثهم الاختيال
به، وإن كان لا يمكنه إلا أن يمكث، فيكثاً عميقاً روحاً ترى أن
أعظم شرف للشاعر هو أن يتجزّ تحديداً الصنيع الذي اعتزم
القيام به.

مع والفرد محبتي

ش. ب.

الغريب

- أنت أيها الإنسان المَحَيَّرُ المحاط بالأسرار، من تؤيِّزُ بحبك؟ أبك، أمك، أخك أم أخاك؟
- أنا لا لب لي، لا أم، لا أخت، لا أخ.
- أصدقائك؟
- تحصلُ كسرةٌ ملائت إلى اليوم أجهلَ معناها.
- وطنك؟
- إني لأجهلُ على أي ارتفاع هو.
- القنَّة؟
- كنتُ لأحبها عن طيب خاطر، إلهةً وسرمديَّة.
- الفحب؟
- إني لأكرمه كراميتك للرب.
- إله! ماذا تحب إنَّ أيها الغريب العجيب؟
- أحب السحب... السحب العابرة... هناك...
- هناك... السحب القاتنة!

II

ياس العجوز

العجوز الهزيلة الذليلة تغمرها الفرحة إذ ترى هذا الطفل
الجميل الذي يحتفل به الجميع ، الذي ينتهي الجميع إرضاءه ،
هذا الكائن الجميل ، بالغ الهشاشة مثلها ، العجوز الهزيلة ،
والذي ، مثلها أيضاً ، بلا أسنان وبلا شعر .

دنت منه ، تود أن تهديه سماعات رقيقة وشاشات ملونة .

لكن الطفل يخافه . يحاول التخلص من ملاحظات المرأة
الهرمة الطيبة . وملأ البيت بصراخه الثاقب .

عندئذ ، انزوت العجوز الطيبة في وحدتها الأبشية ، وراحت
تبتكي في أحد الأركان وهي تحدث نفسها : « آه ! بالنسبة لانا ،
نحن الإناءات العجائز التعميمات ، ماضي عمر الإرضاء ، حتى
للأبرياء ، وما نحن نروّج الأطفال الصغار الذين نشتهي
حبهم ! » .



III

صلاة اعتراف الفنان

لنكنم هي نافذة تهديك نهارات الخريف! يا حلى الأس
نافذة فهناك أحاسيس لذيذة لا يبدؤ غاضبها كشافها، وما من
نصل المضي من نصل اللاتهي.

لذا عظمة هي ليد إغراق البرء نظره في ملكوت السماء
والبحر الرحيم! الوحدة، الصمت، طهارة اللازورد التي لا
تضاهي! في الأفق يرتجف شراع صغير، يحاكي في صاكنه
وعزله حياتي التي لا برء من أوجاعها، نعمة موج البحر
الروبية، كل هذه الأشياء عبري تفكر وأفكر صرعا (ففي رحابة
أحلام المنطقة ما أسرع طياع الأمل!) أقول إنها تفكر، لكننا
بشكل موسيقى أسير خلاص، دون مدحكات، دون قياسات
مطلقا، دون استدالات.

ومع ذلك، سرعان ما تصبح هذه الأفكار عظمة القوة،
أكنت تصدر من أعماقي أم تنبجس من الأشياء، والطاقة الكلامية
في الشهرة تزلت هذا ومكابدة إيجابية. فلا تعود أعصابي
المشغولة تبدي شيئا سوى الرتجاجات صخابة الهمة.

والآن برزني عمق السماء، وحلّوها بكبرتي - وجمود
 البحر وركوه المشهد يبراز شعوري - . أنا الأبد من المكافئة
 أبداً، أو لأبد من الهرب من الجميل أبداً! أيتها الطبيعة، الفتاة
 بلا رحمة، الخصم الطاهر أبداً، دعيني وشأني! كفى من إخواء
 دغياتي وكبرياتي! طلب الجميل مبارزه يصرخ فيها القدس رهياً
 قبل أن تَهْزَمَ.



مذابج

كانت تلك فرقة السنة الجديدة: فوضى الوحل والشلح،
تشرقها ألف هربة، متلألئة باللصب والخلوى، غصاة بالوان
الحشع والاستماتة، هنيان رسمى لمدينة عظيمة مهمته إزعاج
دمغ أقوى إنسان وحيد.

وسط هذا الهرج والمرج وهد الصعيب، بنشاط مشى
حمار، أنهكه فظ مسح بكرة ج.

حين اعطف بحمار عند معترق لفرق، مال سيد وسيم
يبس جوانبا، نواق المظهر، يرتدي كرافة مشدودة بشكي شمع
وحبيس عادات محبلة ندماً، مال بشكل احتفالي على الحيوان
المسكين وقال له وهو يرفع فمعه الطيب وأمسد أمني لك!
ثم التفت إلى من لا أنري أي صاحب مطلقاً، كما لو كان
يطلب إليهم إبداء سرورهم لا لشراح صدره.

لحمار لم ير هذا المذابج الموسم، وواصل التحري
بحماسة إلى حيث دعاء وجه.

أنا أنا، لقد استوس على غضب لا تقير له على هذا الأبله
الفخيم الذي يداني أنه يكلف في شخصه كل روح فرنسا.

الغرفة الخداعة

غرفة تشبه حلم بقطعة، غرفة روحية حقاً، حيث الهواء
الرائد يصطبغ اصطناعاً دقيقاً بالوردى والأزرق.

هناك تأخذ الروح حشام كسل، معطراً بالتدم وبالرغبة - إنه
شيء شعقي، لزرق ووردي، حلم شهوة خلال كسوف.

قطع الأثاث لها أشكال مستطيلة، منبسطة، واحدة قطع
الأثاث لها ملمع من يحلم، يقال إن لها حياة مسرنة، كالنبات
وكالمعدن. الفُرَشُ تتكلم لغة خرساء، كالأزهر، كالسموات،
كالشموس الغائرة.

ليس على الحوائط أي دنس فني. قياساً إلى الحلم
الخالص، إلى الانطباع الأولي، تجديد هو الفن المحدود
للملامح، الفن الثابت. هنا كل شيء يتميز بالشفافية الكافية
ويعتمة انتاعم اللقطة.

عطر في منتهي الرقة للاختيار الأكثر دهشة، تخرج به ندوة
بالغة الخلقة، يسمح لي هذا الجو، حيث الروح الغنية تهددنا
مشاعر ذهنية استبانت.

الموسلين يحظر بغزوة أمام التوافد وأمام القرائن؟ يتدفق في
شلالات مغمورة بالتلج. على هذا القرائن لرفد المعبودة، أميرة
الأحلام، ولكن كيف جاءت إلى هنا؟ من الذي جاء بها؟ أية
قوة سحرية نصبتها على عرش الأحلام والشهوة هذا؟ ما أهمية
ذلك؟ إنها هناك وأنا أراها.

هناك أيضاً تلكما العينان اللتان يخترق ليهما الشفق، هاتان
النجمتان اللتان أتعرف عليهما في خيشهما الحريح! إنهما
ثقتان، تأسرتان، لكنهما نظرة المتهور الذي يتأملهما، غلباً ما
أمنت النظر فيهما، هاتان النجمتان السودوان الحليتان
بالفضول وبالإعجاب.

لاي شيطان حنون أتين بكوني محاطاً هكذا بالسر،
بالصمت، بالطمأنينة وبالمعطور؟ أوه أيتها الغبطة! ما نسميه
عموماً بالحياة، حتى في اتساعها الأكثر هنا، ليس فيه ما
يجمعه بهذه الحياة الساعية التي أتعرف عليها الآن وأستمتع بها
دقيقة دقيقة، ثنية ثنية.

لا! ما من دقائق بعد، ما من ثوان بعد! لقد تلاشى الزمن؟
الأبدية هي التي تهيمن، أبدية المباح!

لكن دقة رهيب، ثقيلة، حلحلت على الباب، و، كما في
الأحلام الجحيمية، كُهل إلى أنني ألتقي طرية بغولي في
أحشائي.

ثم دخل شبح إنه مُخْطِرٌ جاء لتعليبي باسم القانون، أو
صحفية دنية تشككي من اليأس وتصفيف ثغافات جهالها إلى
أوجاع حياتي؛ أو أيضاً رسول مدير تحرير صحيفة يطلب تلمذة
المخطوط.

الغرفة الضروسية، المعهودة، ملكة الأحلام، الحرة
الأثيرة، بحسب تعبير ريتيه العظيم، كل هذا السحر تهدد لدى
الذلة الحينة التي دقها الشبح.

ربما أذكركم أذكركم أهدأ هذا الكرخ الفلر، مقام الضجر
الأهدى هذا، هو مقامى لا سواء. هذه هي قطع الأثاث الغبية،
العثرية، المعهشة؛ المدفأة التي بلا لهب وبلا جمر، المملوطة
بالصقات: التوافد الحزينة حيث رسم المطر خطوطاً في
الليار، المخطوطات، المشطوبة أو الناقصة، تقويم السنة حيث
فلّم القلم الرصاص على التواريخ المشوومة!

وهذا العطر الذي جاء من عالم آخر، وانتشيت به بكل ما
لدي من إحساس، يا لمعصرة! لقد حلت محل نكهة التبغ السا
المختلطة بما لا أدري أية عذونة مفززة. الآن أنتفس هنا زبح
الكأبة.

في هذا العالم الضيق، المضم مع ذلك بالاشمزاز، شيء
واحد معروف يتسم لي: لارورة المخطّر الممزوج بروح
الأيون؛ صديقة عتيقة وروحية شأن جميع الصديقات، بما
للمعصرة! خصبة بالملاطقات وبالحفانات.

لوه! أجل! لقد ملأه الزمن الظهور! الزمن يهيم صاغياً
الآن! ومع المعجز البشع عدلت كل حاشيته الشيطانية من
الذكريات والندم والتشنجات والمخاوف والكروب والكروب
والحقن والغصابت.

أؤكد لكم أن الثواني قد أصبحت الآن أقوى وأشدّ احتكاماً،
وكل ثانية، إذ تسيل من البندول، تقول: «أنا الحياة، التي لا
تُحتمل، الحياة لأية القلب!».

لا توجد في الحياة الإنسانية غير ثانية واحدة مهمتها إعلان
نبأ سعيد، النبأ السعيد الذي يسبب لكل واحد رجساً من
الاستحيل نفسه.

أجل! الزمن يسود! لقد استرد هكتاتوريته الوحشية. وهو
يسوقني. كما لو كنت ثوراً، بمنحله ذئب الحدين. «هيا، أيها
الغني! امرق أيها العبد! عش أيها الملعون!».



لِكُلِّ وَهْمِهِ

تحت سماء رمادية رحيّة، في سهل واسع معقّر، بلا جبل،
بلا عشب أخضر، بلا شوك، بلا نبات شائك الورع، التفت
بشراً كثيرين يمشون منحنيين.

كل واحد منهم حمل على ظهره وهماً كبيراً، ثقيلًا ثقل
شوال ذهبي أو صعب، أو ثقل غليظ جندي من المشاة الرومان.

لكن الحيوان البشع لم يكن ثقلًا حاملاً، على العكس، لقد
كان يطوق الإنسان ويظهره بعضلاته المرونة القوية؛ وكان ينسحب
مخلفه المربطين بصغر حامله؛ ولقد ناحت رأسه الخرافية على
جبين الإنسان، كما لو كانت واحدة من تلك الخوفات المربعة
التي كان المحاربون الأقدمون يحمسون بأن تساعدكم على
تكليف ذعر العدو.

سألت، وهذا من أولئك البشر مستفسراً عن الجهة التي
يتجهون إليها على هذا النحو. فأجابني بأنه لا يعلم شيئاً عن
ذلك، لا هو ولا الآخرون؛ لكن من الواضح أنهم يتجهون إلى
جهة ما، إذ كانت تلطمهم إلى السير حاجة لا تظهر.

شيء غريب لأبد من التنويه به: إن لياً من أولئك المسافرين
 لم يبد مترعياً من الحيوان الضاري المشيت برقبته والملتصق
 بظهره، يمكن أن يقال إنه يعتبره جزءاً لا يتجزأ من ذاته.
 وجميع هذه السمات المكشوفة والصارمة لا تنبئ بأي بأس،
 فتحت لية السماء المثيرة للسام، وأقدامهم معروضة في ظلم
 أرض مكشورة كهذه السماء، ساروا بالهيئة المميزة لمن حُكِمَ
 عليهم بدوام الأمن.

من المركب جوازي ثم غاب في أجواء الليل، في ناحية
 التي يتوارى فيها سطح الكوكب المستدير عن فصول النظرة
 الإنسانية.

للحقائق، لمعرتى الانتهاء فهم هذا اللغز إلا أنه سرعان ما
 انقضت على اللامالاة التي لا سبيل إلى مفادتها فوجدتني من
 جراء ذلك أكثر تسخلاً من انسحاقهم هم بأرواحهم الساحقة.



المجننون وقيفوس

يا له من لهار رائع! طيسان الرحب مقلبي عليه تحت عيني
الشمس المحارقة، كما الشباب تحت علية الحب.

النشوة الشاملة للأشياء لا تتجلى في أي صخب؛ العباء
لعبها كما لو أنها نائمة. هنا عريضة صامتة، مخلقة تماماً عن
أعياد البشر.

يمكن أن يقال إن ثورة متنامية تبدأ بحمل الأشياء تتألق
بأطرافها إن الأبرار المستنارة لبحرئ بهتتاه متافسة لازوره
السمااء بطاقة ألوانها، ورن الحرارة، إذ تجعل العصور مرتبة،
تجعلها تصعد نحو النجم، كالذخائن.

لكنني، في هذه الغبطة الشاملة، رأيت كائنات مكررة.

تحت قدمي قيفوس عملاقة، أحد أولئك لعجائنين
المصطنعين، أحد أولئك المهرجين المتطوعين الذين يضحكون
الملك حين يستولي عليهم نادم أو العسجر. مظلوماً بلباس
صالح ومضحك، معتمراً بفرون وبأحراس صغيرة، متكوراً
بكثيرة أمام قاعدة تمثال، ولوح عيني مغرورتين بهدموع نحو
الربة السرمدية.

وعيناه تقولان: «أنا آخر البشر وأكثرهم وحشة، محروم من الحب ومن الصداقة، وأنتى تماماً في هذا من أكثر اليهائم حرماناً». ومع ذلك، فقد جُبلتُ، أنا أيضاً، على فهم العنة الخلقة والإحساس بها! أما أينها الربة! ترفقني بحبرني وبهذياني!.

لكن فينوس القاسية تقلب ترضو بعيداً إلى ما لا أرى أي شيء، بعينها الرخايبين.



VIII

الكلب وقارورة العطر

«كلبي الجميل، كلبي الطيب، كلبي العزيز، اقترُب، تعال
لنشتم عطرًا ممتازًا اشتريته من أحسن صانع للعطور في
المدينة».

والكلب، هبلاً خيلاً، بما بعد، في غشي، علامة على
الضحك والسرور لدى هذه الكائنات البائسة، يقترِب مباداً في
فضول أنه المفضل إلى هذه القارورة المفتوحة؟ ثم، متراجعاً في
ذعر، يجري في وجهي، تويخاً لي.

«آه أيها الكلب البائس، لو أنني قدمت لك كومة من الخرداء
لشمتها ملئاً ولربما التهمتها. وهكذا فإنك أبشأ، رفيع عيني
الحزينة عديم الجدارة، إنما تشبه الجمهور الذي لا يحب البينة
أن تقدم إليه عطوراً جميلة تثير غيظه، بل قاطورات مستثيرة
بصاياه».



بائع الزجاج الرديء

هناك أناس يفرقون في التأمل ولا يصححون للعقل المقصرة،
لكنهم، بتأثير دافع خفي ومجهول، أحياناً ما يتحركون إلى
الفعل بسرعة يظنون هم أنفسهم أنهم غير قادرين عليها.

كذلك الذي، إذ يخشى من أن يجد عند موته بيته ثياباً
مكتومة، يستكبح في تجويف ساعة من الزمن أمام بابهِ قبل أن
يتجاسر على الدخول، أو كذاكَ الذي يتوقف على مدار خمسة
عشر يوماً في قصر رسالة وصليت إليه أو لا يتصلح إلا بعد
انقضاء ستة أشهر مع اتخاذ موقف كان اتخاذه ضرورياً منذ
سنة، فيحسبون فجأة أحياناً أنهم مدفوعون إلى الفعل بقوة لا
تقاوم، كسهم متطلق من القوس، والحال أن الواقع والطبيب،
الذين يزعمان الإحاطة بكل شيء، ليس بمقدورهما أن يفسرا
من أين تجيء بهذا الشكل جذ العقاجير طاقة مسرقة الجنون إلى
هذه الأرواح الخاملة والشهوانية وكيف، مع عجزها عن تجاوز
أبسط الأمور وأكثرها ضرورة، تواتيها في لحظة معينة شجاعة
مستترة لإتيان الأعمال الأكثر طيشاً وغالباً الأكثر خطراً.

أحد أصدقائي، وهو أكثر الحائزين مسابقة، أشعل ذات مرة النار في غدة لكي يرى، فيما قال، ما إذا كانت النار سوف تنتشر بالسهولة التي يؤكد الجميع أنها تنشر بها. وقد فشلت «تجربة عشر مرات متتالية» لكنها، في المرة الحادية عشرة، نجحت نجاحاً أكثر من رائع.

آخر سوف يشعل سيجاراً بجوار سميث بارود، لكي يرى، لكي يعرف، لكي يغوي الفتور، لكي يؤدي دور اللاعب، لكي يتذوق مسرات الفلق، لأجل لا شيء، من باب الاستسلام للزوات، من باب التعطل والقراخ.

ذلك نوع من الطاقة يسبح من الفصح ومن الهواجر، وأولئك الذين تتجلى فيهم هذه الطاقة يومضون قوي هم، عموماً، كما قلت، الأكثر نلداً والأكثر استسلاماً للأحلام بين الكائنات.

أخيراً، جعلوني إلى حد أنه يتغنى بصره أمام نظرات البشر، إلى حد أنه يتعين عليه سنجماح كل إرادته اليئسة لكي يدخل قهوة أو لكي يمر أمام شباك مسرح، حيث يفتقر المفتشون له وكأنهم لهم عظمة مينوس وإليك وديامانت، سوف يقفز فجأة على عتق عجوز مار بجواره ويصفقه بلهفة أمام المصهور لمدحش.

لماذا؟ لأن... لأن هذا التوجه بدأ جذابة له بشكل لا

بقاوم؟ ربما. لكن من المشروع أكثر اعتد على أنه هو نفسه لا يعرف لماذا.

أكثر من مرة، كنت ضحية لهذه الأزمات واليهذه الاندفاعات، التي تحيز لنا تصور أن شياطين خبيثة تفسد فينا وتجعلنا نقدر، دون أن ندري، رغباتها الحمقاء.

ذات صباح، استيقظت متجهماً، حزياً، متعباً من الفراغ، ومدهوفاً، فيما بدائي، إلى الجراح شيء عظيم، جعل مثيراً؛ ففتحت النافذة، وبها للمعسرة (لاحتلوا، أوجوكم، أن روح الخدع التي لا تعد، عند بعض الناس، نتيجة أو نتيجة لتدبير، بل نتيجة إلهام محلي، إنما لتتمي، وهو يحكم حساسة الرغبة فقط، إلى ذلك المرح. الهستيري في نظر الأطباء، والمشيطناني في نظر أولئك الأفضل تفكيراً إلى حد ما من الأطباء، والذي بدفعتنا دون مقاومة إلى حشد من الأفعال لخطرة أو غير اللائقة).

أول من رأيت في الشارع كان بائع زجاج وصلبني صبيحة الصورة الشاذ غير الحو الياريسي المضم والفلار. وسوف يكون من المستحيل علي أيضاً أن أوضح لماذا استولت علي حيل هذا الإنسان المسكين كراهية مهاجرة واستبدادية في أن.

بعداً جيداً، ولكنه أن يصعد. لا أنني فكرت، ليس دون شيء من الفرح، أنه، بما أن حرفتي في الطابق السادس، وبما

أن السلم ضيق جداً، فلأنه من أن يكبد الرجل محضر المشقة في الصمود وفي الإمساك في أكثر من موضع بجنيات بصاعته لهشة.

أخيراً ظهر: تفحصت بقضول قل ما لديه من زجاج، وقلت له: «كيف هذا؟ ليست لديك كلوس مبنوة؟ كلوس وردية، حمراء، زرقاء، كلوس سحرية؟ كلوس فردوسية؟ بالك من سفه! تتجاسر على الطواف في الأحياء الفقيرة، وليس معك حتى كلوس تسمح برؤية الحياة جميلة؟» ودفعته بقوة نحو السلم، حيث تعثر فتلعثم.

دنوت من الشرفة وأمسكت بأصبعي أزهار صغير، وعندما عدت الرجل الظهور عند مخرج الباب، رميت عمودياً التي الحربية على مؤخرة كلاباته، فقلبت الصدفة وعشمت تحت ظهره كل ثروته الحائلة الياسة، بما جعل لفرقة صارخة كما لو أنها فرقة قصر من الكرستال اخترقته صاحقة.

ومتشياً بطيشي، نديته غامضاً: «رؤية الحياة جميلة؟ رؤية الحياة جميلة؟».

مثل هذه الشكات العصبية ليست دون خطر وغالباً ما قد يدفع المرء لثمة غالياً لها. ولكن ما أهمية أيدية اللثة لمن وجد في ثنية لا نهائية المتعة؟



في الواحدة صباحاً

أخيراً! وعندي! لا أسمع بعدُ سوى بعض هزبات الحياة المتأخرة والعتيقة. على مدار بضع ساعات مسطك العصف، إن لم يكن الراحة. أخيراً! تبتلع طغيان الوجه البشري. ولن أصني بعدُ إلا من نفسي

أخيراً، مسموح لي إذاً أن استرخي في حياض العثمات! في المدينة، دورتان في الليل. يحيل إلي أن دورة المعنّاج هذه سوف تكثف وحدتي وتعرّز المناريس التي تعصفني بالعمل عن العالم.

حياة مربعة! مدينة مربعة! ملتواجم ما حدث في النهار: رأيت حلة أبيض، سألتني أحدهم ما إذا كان بإمكان المرأة الذهاب إلى روسيا برّاً (الأمراء في أنه ظن روسيا جزيرة)؛ تجاهلتُ بسخاء مع منير تحرير مجلة كان بارد على كل اعتراض: نحن حزب الناس الشرطاء، وهو ما يعني أن جميع المجلات الأخرى بحرقها لذلك؛ حيثُت عشرين شخصاً، خمسة عشر منهم لا أعرفهم؛ وبعثت مصافحات بالنسبة

نفسها، وهذا دون أن أحفظ وأشتري جوائيزاً، خرجت لقتل الوقت، خلال زخة مطر، عند مهرجة كانت قد رجعتني أن أحسم لها ردة فينوسياً، تملقت مخرجاً مسرحياً، قال وهو يصرفني: أريها بحسن يك أن تتوجه إلى ز. . . إنه أنفل وأطس وأشهر جميع كتابي: قد يكون يوسعك أن تصل معه إلى شيء ما. إنذهب إليه وسوف ترى: تساعيت (المطالعة) بعمل أفعال خطيرة لم أرتكبها قط وأكرت بجن بعض الأكام الأخرى التي اقترفتها بسروور، جرم انهاء، جرمة نفس الحياة البشري، ولغيت إساءة صنيع بسيط إلى صديق وأعطيت نزكية كتابية لأعبدان ناجز: لوف! أهذا كل ما هناك؟

مسافة من الجميع ومسافة من نفسي، أود استعادة شيء من الرغى عن نفسي وأن أستره كبريتاتي قليلاً في صمت الليل ووحدة. يا أرواح من أحييت، يا أرواح من غابت لهم، شدي من أوزي، سلتيني، أبعدني عنى الأكذوبة والبهرة العالم المفصلة، وأنت، يا مولاي يا إلهي! هبني نعمة كتابة بعض الأشعار الجميلة التي تثبت لي أنني لست آخر البشر، أنني لست أدنى من أولئك الذين أحقرهم!



الزوجة المتوحشة والعشيقة التافهة

«الحق يا عزيزي أنك تتعبدني إلى أقصى حد وبلا رحمة»
 يخجل للمرأة. عندما يسمعك وأنت تنهد، أنك تعاني أكثر من
 معاناة اللطافات اللاتي يلفن السنين من العمر والشحنات
 المعجزة اللاتي يجمعن التفانيات عند أبواب الحانات.

«لو كانت تنهداتك تعبر على الأقل عن القدم، تخلصت
 عليك شرقاً ماء» لكنها لا تترجم سوى نخمة الرفاء ووطأة
 الراحة. ثم إنك لا تكف عن تبديد نفسك في كلمات بلا
 طائل: «منحيني حبك الغامرا إنني أخرج ما أكون إليه»
 أنلجي صفوي يكلأ، لأطفيئني بكيت!». عجباً، إنني أود
 محاولة علاجك، وقد تجد وسيلة لذلك، وهبذة، هي أجارة،
 دون أن نذهب بعيداً جداً.

«فلتضمن النظر، أرجوك، في هذا القلنس العليدي الثابت
 الذي يتور خلفه، غارياً ككائن محكوم عليه بهلاك، هزلاً
 القضيان كأورنج - أورانج أعصبه النقي، محكياً، شكل ناجز،
 وثبت النمر العنقري نارة، ولتخرق الدب الأبيض المعية نارة

الحري، هذا الوحش، «شعر الذي نحكي هينته هيتك بشكل
جد عيس».

«هذا الوحش هو أحد تلك الحيوانات التي تتلوى عموماً
علاكي»، أي زوجة. أما الوحش الآخر، فلك الذي يصرخ
بأعنى صوته، وفي يده عصا، فهو زوج. لقد قبّل زوجته
الشرعية كهيمة، وهو يحرصها في الضواحي، في أيام السوق،
يصرخ من أولي الأمر، كما هو واضح مذاقه. يقول: «فتيهو»
أنظروا بأى شره (غير مضطج ربما) تمزق الأرائك الحبة
والدواجن التي لا تكف عن الصباح والتي يرميها لها سانسها.
هيا، لا يجب للمرأة أن يجهز في يوم واحد على كز مائيه
من زده، وحده هذا الكلام الحكيم، انتزع منها بوحشية الفريسة
التي بقيت أمعاضها الممرقة معلقة للمحظة بأسنده كهيمة
القارية، أعني الزوجة.

«هيا» حيرة جيدة بالعصا لتهدئتها! فهي تحددج الغداء
المخطوف بعيني الأشتاء الرهيبين. مباحثك يا زمي! العصا
ليست عصا كناية، أما سمعتم صولتها على اللحم، بالرغم من
الشعر المستعمر! ثم إن عيسه تخرجه الآن من رأسها. وهي
تعوي بشكل أكثر طهيعة. وهي سعادها، بتطير شرود من كل
كياها، كالجدد تحت المطرقة.

«تلك هي الأخلاق الزوجية لهمين السليلين لحواء ولآدم،

لهدم العطين اللذين عملتهما يدك، أوه يا إلهي! لا جدال في أن هذه الرواية تبيها، وإن كانت سررات العز المدخلة ليست غريبة عنها، ربما، على أية حال، فهناك تعاضات أكثر استعصاء على البرق وبلا مقابل، إلا أنه في العالم الذي أُنشئت فيه، لم يكن لها قط أن تصدق أن المراك نستحق معصراً آخر.

«الآن فيما يخصنا، عزيزتي الغالية! عندما تأمل ألوان الجحيم التي تعم العالم، ما الذي تترشدين لي أن أتصوره من جمجمتك الجميل، أنت التي لا تتراحين إلا على فراس ناعم نعمة بشرتك. ولا تأكلين سوى اللحم المشوي الذي يهتم خادم ذكي بإعداده لك على هيئة شرائح؟

وما الذي يمكن أن نعيه لي كل هذه التهديدات الوهمية التي تنتفخ صدورك المرشوش بالعطر، أيتها المفتاحة القوية؟ وكل هذه التصريحات، المنطوقة من الكتب، وهذه الكثرة المتواصلة التي لا تدور لها سوى أن ثبت في صدره شاهد شيئاً آخر تماماً غير الشفقة؟ الحق إنني يحدث لي أحياناً أن أشتكي أن أعرف منك ما هي النعاسة الحليفة.

«عندما أراك عكفاً، ناعمتي الجميلة، وقدعك في الوحل وعيناك تنظران بشكل دخاني إلى السماء، كما لو كانتا تظليان منها ملكة، قد يظن المرء أنك غيبدة تلتصق العنل الأعشى. إذا كنت تحتقرين الإمعة (وهو ما أنا هو الآن)، كما لعرفين

نعاماً)، فاحشدي الشكر كي الذي سوف يشكرك ويشكلك ويشكلك
مشتاكاً؟

«مع أنني شاعر، إلا أنني لست مفعلاً بالدرجة التي أظن أن»
وإذا ما أغمضتني أكثر من اللازم بتيكيتاتك العزيزة، فسوف
أصنعك كزوجة متوحشة، أو سوف أرميك من الشايلة كزوجة
فارقة.



الحشود

ليس متشاحاً لكل واحد أن يأخذ حشام حشد: فالتمتع بالحشد فن؛ وهذا الفن وحده يمكنه أن يقيم، على حساب الجنس البشري، مريدةً للفحيرة، بشئ جلية لها في مهنها مذاق التفكير والفتاح، وكراهية العسكس وعشق الرحلة.

الحشد، الوحدة: مصطلحان متعاذلان ويمكن تحويل أحدهما إلى الآخر بالنسبة للشاعر المعجتهده، خصب المخلية، من لا يعرف شكنى وحدته لا يعرف بالعمل كيف يكون وحده في حشد مؤازر بالحركة.

يتمتع الشاعر بهذا الامتياز الذي لا يُضاهى، وهو أنه قد مر متى شاء ذلك أن يكون نفسه وأن يكون الآخر وشائه شأن تلك الأرواح الهائعة التي تبحث عن حشد تستقر فيه، فإنه يدخل، متى شاء، في شخص كل واحد، فيالنسبة له وحده، كل شيء، غارغ، وإذا ما بدت له بعض الأماكن موصدة، فما ذلك إلا لأنها لا تستحق في نظره عبء زيارتها.

يستمد المتجول الوحيد والعشائل نشوة فريدة من هذا

الاجتماع الشامل . من يفترون بالحشد بسهولة يعرف مسرات محبومة، لن يتلذذ بها أبداً الأناسي، المتعقّل كصندوق، والكسول، الحبيب كحيوان رخوي، إته يتبنى جميع المنهن وجميع المسرات وجميع ألوان البؤس التي تعرضها الظروف عليه.

ما يسميه الناس بالحب حين جداً، محدود جداً وهزيل جداً، قياساً إلى تلك العريضة الفاتحة لوصف، إلى تلك المومسة المعقدة لمروح والتي نهب نفسها بالكامل، شعراً ورحمة، للمفاجئ الذي يظهر. للمجهول الذي يمر.

من المناسب أحياناً إتهام سعداء هذه الدنيا، ولو لمجرد إتهال غطرستهم النفسية مرة، أن هناك هبات أسمى من مسائهم، والرحب وأكثر رصافة. لأمراء قبي أن مؤسسي المستعمرات ورعاة الشعوب والكهنة المبشرين المنغلين في أنصاف أطراف العالم يعرفون شيئاً من حي هذه التلذذات الحقة السرية، ووسط العائلة الكبيرة التي تتشكل فيها غيريتهم، لأبد أنهم يضحكون أحياناً من أولئك الذين يأخذون عليهم مصيرهم بالغ الاضطراب وحياتهم غائقة الظهارة.



XIII

الأرواح

يقول فوشارخ إنه توجد في الحدائق العسة مجارات يرتادها
أساباً الطامعون والمحيطون والمحترمون سيتر العظ والأماجد
المُحتملون والقلوب المحطمة وجميع تلك الأرواح الجهادية
والمخلقة التي ما زالت ترمجر فيها التهدات لأخيرا لعاصفة،
والتي نأى بعيداً عن نظرة المرحيين والمضطربين الواقعة. وهذه
الأركان الظليلة هي منطبات جرحى الحياة.

إلى هذه الأماكن خدعة يهوى شاعر والفيلسوف توحده
تخميدتهما لمحرقة. فهناك زاد أكيد. لأنه إن كان هناك مكان
بأنعان زيارته، كما أوحيت بذلك للتو، فهو بالأخص بهجة
الأغنية. فهذا الصخب في الضواء ليس فيه ما يجتذبهما. وحتى
خلاف ذلك، يشعرن بالانجرار يشكل لا يقوم صوب كل ما
هو هش وهلم وممزون وثيم.

والعين المجربة لا تخطئ ذلك أبداً. ففي هذه السيماء
لجائمة أو الأسيئة، هي هذه العيون الغائرة والدملة، أو اللامعة
بآخر ومضات الصراخ، في هذه التجاعيد العميقة الكثيرة، في

هذه الخطوات شديدة البطء أو شديدة اللاحترز، سرعان ما
ترصد العين الأساطير الوفيرة للحب المغدور والإخلاص الذي
لم يلق تقديراً وللجهود التي راحت سدى وللجوع والبرد
الذين يجري تحملهما في استكدة وفي صمت.

هل حدث لكم أن لاحظتم أحياناً لأرامل جالسات على تلك
الدكك المتروكة، لأرامل بائسات؟ من السهل التعرف عليهن أكنَّ
في ثياب البعداء أم لا، ثم إن في ثوب البعداء الفقير شيء
غالب، غياب للانسجام يجعله أكثر حزناً، إنه مضطر إلى عدم
الإنسراف على الله، ألسنا الثري فهو يرتديه في كماله.

من تكون الأرملة الأكثر حزناً والأكثر بؤساً للأسى، تلك
التي تلوذ بيدها طفلاً لا يمكنها أن تتفاسم معه هواجسها، أم
تلك الوحيدة تماماً؟ لا أدري. . . حدث لي ذات مرة أن سمعت
على مدار ساعات طوال عجوزاً منكوبة من هذا النوع، تلك
المتينة المتعصبة، في خمار متواضع رث، كانت تحمل في كل
كلماتها كبرياء روافزة.

من الواضح أنها كان محكومةً عليها، بحكم وحدة مطلقة،
بعبادات العاسس المعجوز، وقد أصيب طابع عاداتها الذكوري
شوكة خفية لهرامتها. لا أدري هي أمة قهوة بئسة وبأى شكل
تداولت إقطاعها. تتبعتها في لياقة المطالعة ورايتها طويلاً
وهي تبحث في الصحف، بعينين متوقفتين، حرفتهما لدموع
في زمن طائر، عن أبناء باعتمام قري وشخصي.

أخيراً، بعد الظهر، تحت سماء خريفية فاتنة، واحدة من تلك السموات التي يهبط منها حشد من الندم والذكريات، جلستُ مريرةً في حديقة، لكني تستمع، بعيداً عن الزحام، إلى واحدة من تلك الحفلات الموسيقية التي تسعم بها عرقه الموسيقى العسكرية على لشعب الباريسي.

لا مرأى لي أن ذلك كان المحزون المتواضع لتلك البرصة المجهز (أثر لتلك العجوز المظهرة)، العزاء المكتسب من واحد من تلك الأيام الثقيلة بلا صديق، بلا معجزة، بلا طرفة، بلا نجوى، والذي سمع الرب يتزول علىها، منذ سنوات عديدة ربما ثلاثمائة وخمسة وستين مرة في السنة.

واحدة أخرى أيضاً:

محال أن أمتنع عن إلقاء نظرة، إن لم تكن كلية المتعاطف، على الأقل فضولية، على حشد الموسيقيين الذين يتدافعون حول سباح حمل موسيقى في مكان مكشوف. حير الليل نورج الأوركسترا أغنيات لعيد أو النصر أو الشهوة. الأتواب تراقل لأمدة، النظرات تتدافع، المتعطشون، المتعبون من كونهم لم يحصلوا شيئاً، يتعاطلون، متظاهرين بتذوق الموسيقى في استرخاء. هنا لا شيء سوى الشراء والهناء؛ لا شيء إلا ما ينفس ويثقلهم راحة البال ورفق العيش، لا شيء، ما عدا مطهر ذلك الحشد الفقير المستند هناك على الحاجز الخارجي، وهو

يلتقط مهبأناً، بحسب ما تشتهي الريح، ومضة من الموسيقى
ويرنو إلى الأثون العتالين في الداخل.

مستع دائماً هذا الاتعكاس لفرحة الشري في أغوار عين
الفقير، إلا أنه في ذلك اليوم، خلل هذا الجمع الذي يرتدي
البلوزات والياب الهندية المشجرة، رأيت كائناً تبين نبلة كل
التباين مع كل الابتقال المحيط.

كانت امرأة عظيمة، جبيلة، وجد نيلة في سيماتها، بحيث
إنني لا أذكر أنني رأيت شيئا لها في اليوميات حميلات الأزمنة
الماضية الأرستقراطيات. كان عطر فضيلة متشامخاً يفرح من
كياتها كله. وكان وجهها، الحزين والشاحب، متشابهاً تماماً مع
ثوب الحداد الجليل الذي ارتدته. هي أيضاً، شأن الحوام الذين
امتزجت بهم ولم نرهم، نظرت إلى العالم العتالين بالتور بعين
عبيقة. وأنصت وهي تهرز رأسها برفق.

يا للمشهد القريداً أخفكت نفسي: من المؤكد أن هذه
الفقيرة، إن كانت فقيرة، لا يلبق بها التسامح مع التفكير
الذي، وجه نبيل كهذا يؤكد لي ذلك. فلماذا إذاً تتسامح مع
البقاء في وسط تمثل فيه بلعة جد صارخة؟

لكنني إذ مررت أمامها بفضول، خيل إلي أنني انركت
السبب. كانت الأرملة العظيمة تمسك بيدها طفلاً يرتدي
الأسود مثلها. ومع أن ثمن الدخول كان زهيداً، إلا أن هذا

الذين قد يكون كافيًا لتلبية حاجة من حاجات الصغار،
والأفضل من ذلك أيضاً أنه قد يكون كافيًا لشراء شيء غير
ضروري، لعبة مثلاً.

ماشية سوف ترجع، متاملة وحالمة، وحدها، دائماً
وحدها! لأن طفل شيطان، لاني، تعوزه الرقة ويعوزه العسر،
يل إنه لا يسعه، كالحبوان البري، كالكتب أو القطة، أن يكون
نحباً لأوجاع الوحدة.



المهرج العجوز

في عطلةهم، تشتر الناس ويتلقوا مضمورين بالحيور في كل مكان. كان ذلك واحداً من تلك المهرجانات التي يراهن عليها، أوقفت طريل، المهرجون ومنظمو الجولات وعارضو الحيوانات والياقة المحفلون للتعريض عن مواسم العام الرديئة.

في تلك الأيام، يبدو لي أن الناس ينسون كل شيء، الأكم والحمل، إنهم يصبحون شبيهين بالأطفال. وبالنسبة للصغار، بعد ذلك يوم عطلة، إنه رعب المدرسة وقد تقهقر أربعاً وعشرين ساعة. أما بالنسبة للكبار، فهو هدنة معقولة مع قوى الحياة الشريرة، استراحة قصيرة من الخصام والنزاع الشاملين.

الإنسان البدنيوي نفسه والإنسان المهموم بالمأكل الروحية يصعب عليهما الانفلات من تأثير هذا العيد الشعبي. إنهما يتفلسفان، دون أن يربحيا في ذلك، حصتهما من جر اللامبالاة هذا. وفيما يتخسني، فإني، بوصفي تاريسياً حقاً، لا أتخلف الهبة عن مناقعة جميع الأكشاك التي تتطاول في تلك الأوقات الاحتفلية.

الحق إنها تنهارى مبارقة شرسة: إنها تزلقزق ونصرخ
وتصيح. لقد كان ذلك خفيطاً من الصرخات وطرقات الآلات
المناسية وانفجارات السهام القارية. المسون - لبحر والحمقى
يرسمون تشنجات على ملامح وجوههم التي أضفت عليها
الريح والمطر والشمس سعرة وخشونة، وجساراً معطلين
والقبح من مقدرتهم على «الإنهار» يطلقون كلمات وتكات
جميلة لهزل متين وقوي كهزل مولير. والهرقات، القصورون
يطبخاناً أحضانهم، بلا جبين وبلا جندمة، الأورانيج - لوتانيج،
يتبخرون في خيلاء تحت الأقمعة التي أحسنت الليلة المعاصرة
لأجل المناسية. والرقصات، الجميلات كالجنيات أو
الأميرات، يتططن ويشن تحت نار العوايس التي تقهر تنوراتهن
بالشر.

كل شيء لم يكن سوى نور وقمار وصيحات فرح وصخب؛
البعض ينفق والبعض يكسب، وهؤلاء وأولئك مسرورون سواء
بسواء. الأطفال يملقون بشنرات أسنانتهم طالين مصاعة، أو
يصعدون على أكتاف آبائهم حتى يستمتعوا بالفرحة على حمار
مهر كراه. وطائفة على جميع العطور، انشرت في كل مكان
رائحة مقلبات كانت أشبه ما تكون بهخور ذلك العبد.

على الطرف، الطرف الأنسى لصلب الاكتشاك، كما لو كان
قد تلقى نفسه، كحجل، عن جميع هذه البهارج، رأيت مهرجاً

فقيرا، محني الظهر، متناعيا، منهذما، عظام إنسان، مستنبا
إلى قائم من قوائم كوطه الصغير، كوخ أكثر بؤساً من دكر
الوحش الأكثر حياة، كانت سمعته الصغيرتان، السائلتان اللتان
يتبعث منهما الدخان، تكشفان مع ذلك كل ما هو فيه من
شقاء.

عم لحيور والكسب والمجون؟ عمت الثقة في تواقر خبز
للأيام القادمة؟ عم صخب العبيبة المسعور، هنا التعمامة
المعطلقة، طعمامة المستنرة، تنمة للحرص، تنمة للأسمال
لهزلية، حيث الضرورة، بأكثر بكثير من الفن، هي التي
أدخلت المملوكة. لم تند عنه ضحكته، فيانس! لم يبك، لم
يرقص، لم يومض بأية جماعة، لم يصيح، لم يفر أية أغنية، لا
فرحة ولا مشجعة، لم يتوسل. كان صامتا صمتاً مطلقاً وكان بلا
حرك. لقد انسحب، لقد احتزل. وكان مصيره قد تقرر.

ولكن يا لمنظرة العميقة التي لا تُنسى، لقد مرت على
الحشد والأنوار التي توقفت موجهها المتحرك على بُعد بضعة
خطوات من شقائه المنقرا أحسست حلقى وقد قبضت عليه يد
الهستير، قرعينة. وبدلي أن نظراتي قد صدمتها هذه الذمعة
المتعمدة التي ترفض أن تسيل.

ما العمل؟ ما جدوى سؤالي المنكود عن الطريقة أو العمية
التي يمكنه اجتراحها في هذه المعتمات العفنة، خلف ستاره

المهمل؟ الحق إنني لم أجروء، ولابد لسبب ترددي من أن
يضحكنكم، فلما اعترف بأنني قد خشيت من إصغاره بالهوان،
وفي النهاية، فبروت أن ألقى خلال مروري به شيئاً من المال
على أحد ألواح الخشبية، آملاً في أنه سوف يفهم قصدي،
لكن هرولة عظيمة للناس إلى الوراء، لا أدري أي اضطراب
تسبب ليها، جرتني بعيداً عنه.

وإذا عدت إلى حيث كنت، وقد استولت علي هذا المشهد،
حاولت تفسير أسمى المباحث، وحسنت نفسي: لقد راجت لتو
صورة أديب عجوز مدش إلى ما بعد الجيل الذي كان عليه
الرائع، صورة شاعر عجوز بلا أصدقاء، بلا عائلة، بلا أطفال،
قفى عليه يؤسه والكران الكلي لجذيل، ولم يعد العالم عديم
الذاكرة يريد الدخول إلى كشكها!



الجاتوه

خرجتُ في رحلة . المشهد الطبيعي الذي وجدت نفسي في
 ضماره كان موحشاً بجلال وسيل لا سبيل إلى مقاومتهما
 لأنراء في آل شيئاً ما قد تسلي في لروح ساحتها . وهرعت
 أنكاري بخفة مساوية لخفة الجوار المندهر الرخيصه ، كالكرامة
 وكالحب المنوي . بدت لي بعيدة بعد السحب العابرة في عمق
 المعهوي تحت قدمي ؟ بدت لي روعى رعدة وصافية رحابة
 وصفاء قبة السماء التي احتضنتني ؛ لم تحظر بقلبي ذكرى
 الأمور الدنيوية إلا وألعت ومختزلة ، كصوت أجراس صغيرة
 لأفهام غير مرئية تلوح بعيداً . بعيداً جداً ، على سفح جبل آخر
 على البحيرة الصغيرة الراكدة ، المسونة بعمقها الغائر ، مر بين
 الحين والحين ظل سحابة ، كائنكاس معطوب عملاق أثيري
 يحلق في أجواء السماء . أتذكر أن هذا الشعور المهيب والماز ،
 المتيقن من حركة جلييلة صامتة ، قد غمرني بفرحة مستزجة
 بالخوف . باختصار ، أحسستني ، بفضل الفتنة الخلابة التي
 غمرتني ، في سلام تام مع نفسي ومع العالم ؛ بل إنني لأظن

أنني، في غيظي الكاملة وفي نياتي الكامل لكل شر فنيوي، قد توصلت إلى التكف عن سطرشي المبررة من الصحف التي تزعم أن الإنسان ولد خيراً - وعندما جثد الجسم الذي لا يرو له حاجته، فكرت في ترميم الشعب وفي تخفيف الأشتواء المحترقين على سمود صويل كهذا. فسحبت من جيبى وخفاً كبيراً وإثارة من الجلد وفارورة إكسير كان الصيادلة يبيعونه في ذلك الوقت للسباح لمزجه عند الحاجة بماء الملح.

في هدوء قطعت الخيز. وفجأة دفعتني مهمة إلى رفع عيني. كائن هزيل رث، أسود، مشعث الشعر، وفظ أنفي، وعينه العائزان، الضاريتان، وكأتهما توتسلان، التهمتني قطعة لخيز. سمعته يحتم، بصوت خلفت أجلي. جاثوا! لم يكن بوسعي الامتناع عن التصحك وأنا أسمع التسمية التي تكرم بها على رجلي في شبه الأبيض. وقطعت له منه قطعة لا بأس بها قدمتها إليه. دنا بيضاء، دون أن تعارق عينه شيء الطي يشبهه؛ ثم، خاطباً القطعة بيده، ابتعد بسرعة وكأنه كان يخشى من ألا يكون عرضي نزيهاً أو من أن أكون قد تدست عليه بالفعل.

إلا أنه سرعان ما قلبه وحش هزيل آخر، لا أدرى من أين جاء، يشبه الأول شيئاً ناجزاً بحيث يحسبه المرء تولعه. أخذا يتدحرجان على الأرض، متنازهين على القريسة الشمية، فبات واضحاً أن أيهما لا يريد التنازل عن النصف لأخيه. الأول.

حقيقةً، شدّ الثاني من شعره؛ والثاني نشب أسنانه في أُنثى وتغلغل
 قطعة صغيرة دائية منها وهو يتفوه بشنينة غامية رالعة. الثالث
 الشرعي للجائوه حاول قرّز محاذيه الصغيرة في عيني الغاصب؛
 بصفوره استجمع لعاصب كل قوة لكي يخلق خوصه يده، بينما
 حاول باليد الأخرى دس غنيمته المعركة في حبيبه. لكن
 الصفوب، وقد أحبته الاستمالة، تمالك زمام نفسه وطرح
 الغالب أرقباً بغيره من الرأس في أحشائه. ب جندوى وصف
 صراع شح دام في الحقيقة وقتاً أطول مما يبدو أن قولهما الهشة
 تبنى به؟ بين لحظة وأخرى، كان الجائوه يتنقل من يد إلى يد
 ومن جيب إلى جيب؛ ولكن، يا للحسرة! لقد تغير حجمه هو
 الآخر؛ وحسبما توقفاً أظير، مكيدودين، لاهئين، ضاميين،
 لاستحالة المواصله. لم يعد هناك، والحق يقال، موضوع
 للعرائد؛ كانت قطعة الحيز قد اختفت، كانت قد تبددت
 وتحوّلت إلى كتات يشبه حبات الرمل التي سترج بها

هذا المشهد كثر المشهد الطبيعي في نظري، والفرحة
 الهائلة التي كانت روعى قد انشجرت فيها فيور رؤية هليلين
 لإنسانين الغدمين تبددت تماماً؛ وظللت حريباً من جرد ذلك
 لوقت طويل وإن أردت نفسي بلا توقف: «هناك إذاً بلد رقع
 يسمى فيه الخبز بالجائوه، قطعة جندوى جد نادرة بحيث تكفي
 لإشعال حرب حليفة بين الأشقاء».



الساعة

يقرا الصيبيون الساعة في أمين القطط.

ذات يوم، اتبه مبشر أثناء تطوفه في أطراف ناكبين إلى أنه قد تسبى ساعته، فاستفسر من صبي عن الوقت في البداية، تردد ابن الامبراطورية السعارية؛ ثم أجاب، بعد أن عدل عن تردده: «سأنتك به». بعد هنيهة، عاود الظهور مسكاً بين يديه قطب ضخيم قوي، وبعد أن نظر إليه، في يدهن عينيه، كتب يقولون، أكد بلا تردد «نحن قبيل القهيرة بقليل». وهو ما كان صحيحاً.

بالنسبة لي، لو ملك على قبيلين (الرشيفة) الحميلة، الجديدة تماماً بهذا الاسم، ولتي هي في آن واحد قخر جسمها وكبرياء فواذي وعطر روحي، ليلاً كان أم نهاراً، هي لنور الساطع أم في الظل المعتم، دائماً ما أرى في عمق عينها القنطين الساعة والصحف. واحدة أبدأ، ساعة رحية، بهية، شمسة كالقضاء، لا تنقسم إلى دقائق ولا إلى ثوانٍ، - ساعة ثابتة لا تظهر في الساعات، ومع ذلك فهي خفيفة كتنهيدة، وسريعة كمنظرة حافظة.

لو أرعجني عارض ما ونظرتني متبينة على هذه المينة
الحقية، لو قال لي جسي شيرر عبيد ما، شيطان عارض ما:
«فيمَ تنظر بكل هذا الاهتمام؟ عمَ تبحث في عيني هذا الكائن؟
أنتظر إلى الساعة، أيها السفه والكسول المفاخي؟» سوف أجيب
بلا تردد: «أجل، أنتظر إلى الساعة» إنها ساعة الأهدية!.

أبست هذه، سيدي، غزلية جديدة بالتقدير حقاً، وقصيدة
مثلك تماماً؟ الحق إنني وجدت متعة غامرة في نوشية هذه
الغزلية المشكّلة بحيث إنني لن أطلب منك شيئاً في المقابل.



نصف عالم هي شعر امرأة

دعيني استنشق طويلاً، طويلاً، رائحة شعرك، دعيني أغرق
فيه كل وجهي، كالظلمة التي يغرق في ماء نبع، دعيني ألوح
به بيدي كممثل قواح بالعطر، كي أكثر ذكريات في الهواء.

آه لو تدبرين بكل ما أرى أ بكل ما أحس أ بكل ما أسمع في
شعرك! روحى تسبح على المعطر مثلما تسبح أرواح الآخرين
على الموسيقى.

شعرك مستقرٌ حلم كامل، عامي بالأشعة وبالصواوي،
شعرك مستقرٌ يحار عظمة تحملني رياحها الموسمية إلى
مناخات فائدة، حيث التجو معطر بالشمار وبأوراق لشجر
وبالبشرة الإنسانية.

في محيط شعرك، ألمح مرفأً مزدحماً بالناشئة الحنين
وبرجال أشده من شتى الأمم وسفن من كافة الأشكال تبرز
عماراتها الرشيقة والمعقدة في فضاء رحيب حيث تنهدات
الحرارة الأبدية.

في ملاخطات شعرك، استعيد تدرج الساعات الطول التي

قضيتها على أريكة، في قفلة سفينة جميلة، وقد عدتها
التأرجيح المريح للمرأة، من أصغر الأزهار والأباريق القطرية
المنعشة.

في اللون شعرك المضطرب، أستشقي نكهة التبغ الممتزجة
بالأميون وبالسكر؛ في ليل شعرك، أشهد سطوح لا نهائي
السماوات اللازوردية الاستوائية؛ على مصفاة شعرك الزغبية،
أنتشي بكتلاف روائح القار والسمك وزيت جوزة الهند.

دعيني أشد بنواجذى طويلاً على خصلات شعرك الثقيلة
السوداء. عندما أعظمض في شعرك المتعرج الهائج، يخيل
إلي أنني ألتهم ذكريات.



XVIII

الدعوة إلى السفر

بلد واقع هو. يقال إنه بلد نعيم، أحلم برهائه في صحبة
صديقة عزيزة. بلد فريد، غارق في ضبابات شمالنا، يمكن أن
يسمى شرق الغرب، أو صين أوروبا، حيث الخيال المتقدم
والطائش يجد له مرتعاً، حيث شرفة العيال في صبر وإصرار
بعلامته وبهالكة التاعمة.

بلد نعيم حقيقي، حيث كل شيء جميل وثري وهادئ
ولائق؛ حيث الترف يجد مسرة في تجلبه في النظام؛ حيث
الحياة مريحة وعذبة بلذ استنشاقها؛ حيث لا وجود للفوضى
والهيج والطارئ؛ حيث الغبطة قريبة للصمت؛ حيث المأكل
نفسه شعري وسخي وشهي في آن؛ حيث كل شيء يشبهك، يا
ملاك العزيم.

أتعرفين ذلك الداء المصعوم الذي يفترسنا في التعلسات
الباردة، ذلك الحنين إلى بلد نعيمه، عذاب الفضول؟ إنه بلد
يشبهك، حيث كل شيء جميل وثري وهادئ ولائق، حيث
سيد الخيال وزخرف صيناً غريبة، حيث الحياة عذبة بلذ

استلشافها، حيث العبة قرينة للصمت. إلى هناك تحليداً يجب الذهاب للعيش، إلى هناك تحليداً يجب الذهاب للموت.

أجل، إلى هناك تحليداً يجب أن نذهب لكي مستشرق ونحلم ونظير الساعات بلا نهاية الأحاسيس، موسيقى ألف الدعوة إلى الفاني، فمن الذي سوف يؤلف الدعوة إلى السفر، التي يمكن أن تهدى إلى المرأة المحبوبة، إلى الأخت الأثيرة؟

أجل، في هذا الجو تحليداً يحسن العيش، هناك، حيث الساعات الأبطأ مسفرة أفكار أكثر، حيث الساعات تعلن العبة باحتفال أصغر وأغنى ولادة.

على اللوحات الساطعة أو على الجلود المدببة ذات الزوايا المعتم، دون يهرجؤ لحيا صور واحدة وعادة وعسيفة، كأرواح الفنانين الذين أدهوها، الشمس الغارية، التي تلون بشره زوايا غرفة المعيشة أو الصالون، تحلف من ضوئها قرش جميدة أو تلك النواقل العذبة المزخرفة التي يسمها الرصاصي إلى أقسام عديدة. قطع الأثاث وحية، عجيبة، غريبة، مزودة بالفضاء وبأسرار كأرواح رقيقة. المرايا والمعادن والفقرش والمصوغات والمزخرفات المزخرفة تعزف هناك للمعجبين سيمفونية صامتة وحسية، ومن شتى الأشياء، من شتى الأركان، من فتحات الأرواح ومن ثيمات الفقرش يتسلل عطر فريد، مدهود سوطرة، شيء بروج الشقة.

أقول لك بلد نعيم حقيقي حيث كل شيء نقي ونظيف
وساطع، كضمير حميل، كأبواب طبخ بديمة، كمصوغات
رائعة، كمجوهرات سخية الألوان! كنوز العالم تنصب هناك.
كما في بيت رجل مجتهد، يستحق العرفان من العالم كله. بعد
فريده، أرقى مما عدا، كما الفن قياساً إلى الطبيعة، حيث
الطبيعة يهديها الحلم أو يلومها ويحملها ويصوغها من جديد.

فليحاول خيميائير البسطة هؤلاء، وليحاولوا من جديد،
وليبرحوا بلا توقف حدود قيطتهم! فليعرضوا مكافأة قدرها
ستون ومائة ألف فلورين لمن يحل مشكلاتهم الطموحة! أما
أنا، فقد وجدت زينتى السوداء وزهرتى الذهبية الزرقاء!

زهرة لا مثيل لها، زينة مستعصية، زهرة ذهبية رمزية، أليس
إلى هناك تحديداً، في ذلك البلد الجميل الهادئ كل الهدوء
والحالم كل الحالم، يجب الذهاب للعيش وللازدهار؟ ألي
تحدي نفسك معقدة نظيرك، وألن يكون بوسعك رؤية نفسك
في ما يشغى منك، إذا استخدمنا لغة الصوفيين؟

أحلام! أحلام أبداً! وكلما تزايد طموح الروح وذهائتها،
كلما تأت لأحلام من الممكن. كل إنسان يحلم في ذاته
حرته من الأفيون الطبيعي، خافية ومتجددة أبداً. ومن
لميلاد إلى الموت، كم الساعات التي نحياها عامرة بالمسرة
الأكيدة، بالفعل الناجح والناجز؟ هل سنحيا يوماً ما، هل

ستظل يوماً ما إلى هذه النوحة التي رسمتها روجي، هذه
النوحة التي تشبهك؟

هذه الكنوز، قطع الآثات هذه، هذا التراث، هذا النظام،
هذه العطور، هذه الأزهار المعجزة، هي أنت. أنت أيضاً هذه
الأنهار العظيمة وهذه النهرات الهائلة. هذه السفن العظيمة التي
تحملها. العمارة كلها بالثروات والتي تصعد منها أناسيد حركتها
وحيدة الزمن، هي أنكاري التي تهجج أو تغلب على صدرتي.
بعذوبة تلوديتها إلى البحر الذي هو اللانهائي، فيما تنعكس
أعماق السماء في شفافية روحك الطائفة؟ - وعندما نزوب إلى
العرفاء الأم، متعبة من صطب الموج ومن لزوزات منتجات
الشرق، فإن أنكاري أيضاً التي أمست أكثر ثراء هي التي نزوب
من اللانهائي إليك.



XIX

لعبة الضفائر

أورد إعطاء فكرة عن تسلية برينة، فلما أكل التسليات غير الأئمة! عندما تخرج صباغاً عازماً على التسكع في الطرق الرحية، أملاً جيوت بمبتكرات صغيرة زهيدة « كالدمية البلهاء ذات الحدين التي يحركها سلك واحد أو كالحفادين الذين يدفعون على السندان أو كالفارس وجواده الذي ذيله صغيرة » . وعلى طول الحدائق، تحت الأشجار، إندعا إلى من أهداف من الأطفال البؤساء الذين لا تعرفهم. سترى أعينهم وقد اتسعت اتساعاً عريضاً، في البداية لن يشجسروا على تناولها! فهم يشكون في الغبطة التي بغفتهم، ثم سرعان ما سوف يتناولون الهدية بلهفة، ويهربون بعيداً كالقطط التي تأكل في مكان بعيد اللقمة التي رميتها لها، لأنها تعلمت الاحتراس من الإنسان.

على درب، خلف سياج يستند رحيب، ظهر في نهايته بياض قصير بهي لفحة الشمس، وقف طفل جميل غص، برادي تلك القباب الرقبة المقعنة بالفتة.

الشرف وراحة البال والمشهد المألوف لشره، تجتمع أولئك
الأطفال آية في الجمال بحيث يحسبهم المرء محبوبين من طينة
تختلف عن طينة أحقال من يحبون على الكفاف أو الفقر،
بجودهم، وقدمت على العشب لعبة رائعة، غضة كصاحبها،
بهية، ملعبة، أرجوانية الثوب، وثيرة بالرش وبالمفرز الزجاجي
المملون. لكن الطفل لا يبالي بلعبته الأثيرة، وهاتم مائد
بصره:

على الجانب الآخر من السياج، على الدوب، بين الأشوك
والنباتات شائكة النورة، كان هناك طفل آخر، قلبي، عزيزي،
واحد من أولئك الصبية المشهورين الذين سرعان
ما اكتشف عين محبوبة جمالهم، تماماً، كما سرعان ما يستشف
بصر العليم عبورة مثالية خلف طلاء صانع المركبات، فهو
يجلو عنه زئجار البرص المفرز.

عبر هذه القضبان الرمزية القاصدة لعالمين، الدوب الرحب
والنصر، فرج الطفل الفقير الطفل الغني على لعبة التي تأملها
الأخير بلهفة كما لو كانت شيئاً نادراً ومجهولاً. والحق أن تلك
اللعبة التي راح القلب الصغير يشربها ويهيجها ويهزها في
صندوق من الأسلاك، كانت فارقاً حياً فلولاندات، من باب
التوفير لا ريب، قد صاदा اللعبة من الحياة نفسها.

وضحك الطفلان أحدهما للآخر في روح أخوية، فباتت
استهما ذات الياض الواحد.

هيات الجنيات

كان ذلك اجتماعاً مهيباً للجنيات لكي يوزعن هيات على جميع المواليد لجدده، الذين رأوا نور الحياة قبل أربع وعشرين ساعة.

متباهيات جداً كن كل أخوات القدر تلك العتقات أسيرات الشدة والهموم وكل أمهات الفرح والألم الغريبات تلك: بعضهن يدورن كجنيات عابسات والبعض الآخر يدورن لعوبات مأكورات: بعضهن، الشابات، كن دائماً شابات، والبعض الآخر، العجائز، كن دائماً عجائز.

كان جميع الآباء المؤمنين بالجنيات قد جاءوا وقد حمل كل واحد منهم وليده الجديد بين ذراعيه. كانت المرافع والملكات والحفوظ السعيدة والظروف القاهرة متكونة بجوار هيئة المحكمة، كما تتكون لجوائز على المتصة في حفل توزيع الجوائز. تكن ما كان مختلفاً هنا هو أن الهيات لم تكن مكافأة لمجهود، بل كانت على التقبض من ذلك تماماً نعمة يُمنَّ بها على من لم يثن بعد، نعمة قادرة على تقرير مصيره فتصبح من ثم مصدر لحاسته أو مصدر هداه.

كانت المجنات المسكينات ضارقات لأذانهن في الأمراء فقد كان حشد الطالبين عظيماً، والكائنات الوسيطة، بين الإنسان والرب، محكومة مثلنا بقانون الزمن الرهيب وفيرته التي لا نهاية لها من الأيام والساعات والدقائق والثواني.

الحق إنهن كن مرتبكات كالوزراء في جلسة استماع أو كموظفي مؤسسة الرحمن الرسمية حين يجيز عيد قومي فك الرهون مجاناً. بل إنني لأظن أنهن كن ينظرون من وقت لآخر إلى عذاب الساحة في نقاد صبر كنقاد صبر القضاة الأذميين الذين لا يسعهم، وقد مر عليهم زمن منذ انعقاد جلستهم في الصباح، أن يمتنعوا عن الحلم بشناول الغناء ويلقاء الأسرة ولبس أحنافهم المزينة. وإذا كان، في العدل فوق الطبيعي، قدر من المجلة والتسرع، فليس لنا أن نعجب من وجودهما أحياناً في العدل البشري. وفي هذه القضية، من شأننا أن نكون نحن أنفسنا قضاة غير عادلين.

ومن ثم فلقد ارتكبت في ذلك اليوم بعض التهورات التي يمكن اعتبارها غريبة لو كانت المحكمة، بأكثر من الهوى، هي الخاصة المميزة للأبدية للمجنات.

وهكذا فإن القدرة على جذب الشره جذباً مغناطيسياً قد فتحت للورث الوحيد لعائلة طائفة الثروات، وبما أنه كان محروماً من أي إحساس بالير حرمانه من أي اشتهاه للطهيرات

الأكثر وضوحاً في الحياة، فقد كان مصيره أن يجد نفسه فيما بعد تحت وطأة ملايته الساحقة.

كما منح عشق الجميل والقدرة الشعرية لابن معزم كتيب، حجاب من حيث مهته، لا يملك، بلية حال، مساعدة فلذات أو نظية حاجات، وليده الجدير بالثناء.

نسبت أن أقول لكم إن التوزيع، في هذه القضايا المهمة، بلا استئناف وإنه لا يمكن رفض أية حجة.

تهافت الجنيتات كلهن، معتقدات أن مهمتهن الشاقة قد انتهت؛ إذ لم يبق بعد أية حجة، أية مكرمة لإثباتها إلى هذا السمك الأعمى قليل الشأن، فيما تهوى رجل جسر، ناجر صغير مسكين، فيمد الظن، صباح وهو يمسك بالجنية الأقرب إليه من دنائها المصنوع من أبطرة لا حصر لأوانها:

فما هذا يا سيدتي، لقد نسيتنا! طفلي لم يأخذ شيئاً ولا يعقل أن أجيب إلى هنا لأجل لا شيء.

كان بالإمكان أن تشعر الجنية بالخرج؛ إذ لم يبق بعد شيء. لكنها تذكرت في التو والحاك قانوناً معروفاً جداً. وإن كان ناعراً ما يطبق. في العالم لفرق الطبيعي، المسكون بذلك الآلهة الأسطورية غير المحسومة، صديفة الإنسان، والمضطرة غالباً إلى التكيف مع أهوائه، كالجنيتات والمرتدة والسلمندرات والأثريات والأثريين وحبوريات الماء وحبوريات وحبوريات

البحر، - أعني القانون الذي يقول المجنبات، في حالة كهذه الحالة، أي حالة نفاذ الهبات، صلاحية منح هبة، إضافية واستثنائية، وإن كان شريطة أن تملك الجنية مخيلة كافية لتخلق هذه الهبة في الترو والحال.

ومن ثم فقد ردت الجنية الطيبة، برياطة جياش تطبق بمكانتها: إني أحب ابتك... أعبه... عوجة الإرضاء؟

ولكن كيف يُرضي؟ يُرضي...؟ يُرضي لعلها؟. بعناب تساهل التاجر الصغير، الذي لا ريب أنه كان واحداً من أولئك المحاججين الكثر، العاجزين عن الارتفاع إلى مستوى منطق العيث.

«الآن! الآن!»، ردت الجنية الغاضبة، مدبرة ظهرها له وحتمت انضمت إلى موكب صاحباتها، قالت لهن: «ما رأيكن في هذا الفرنسي العتيج الذي يريد فهم كل شيء والذي، بعد أن حصل لآيته على أفضل الهبات، يجرؤ مع ذلك على مسألة ومناقشة ما لا ميل إلى مناقشته؟».



الفوايات

أو ايروس وپلوتوس والشهرة

شيطانان راعون والشيطانة، ليست أقل روعة، جعلوا القوية العاصية السلم الخفى الذي تهجم منه الجميع على ضعف الإنسان لتنام وتتواصل معه سرّاً. انتصبوا في مهابة أممي، واقفين كما لو كانوا على منصة. التهمت سبي سلطوري من أولئك الثلاثة الذين انشقوا على هذا البحر من أعماق ليل المجتمع. كانت ملائحتهم حد فطورة وكلية الجروت بحيث إتني، في البداية، حسب الثلاثة كهم آله حفية.

وجه لشيطان الأول كان وجه جنس ملنسي، كما كان في خطوط جسمه تختل نباحوسات لأفنديين. حينه انجملتان المسبتان، بلولهما القاتم والغامض، كانت تشبهان بلسيتين ما تزالان منقطتين بدموع العاصفة، فيما كانت شفاه المنصرحتان قليلاً تشبهان مجمرتي عطر ساحلتيين، فاحيت منهما رائحة عطور زكية، وفي كل مرة كان يشهد فيها، كانت تستطيع حشرات معطرة دالمسك، مرفقة، مع احتدادات أندسه.

حول خلالاته الأرجوانية، التفء، على شكل حزام، لعبان
 براق يحول إليه مسترخياً، وقد رفع رأسه، عيين منطقتين.
 تعلقت بهذا الحزام الحي، في تناوب مع قولير ملبسة بسواقل
 خفيفة، سكاكين لامعة وأدوات جراحة. أمسك بيده اليمنى
 لبارورة ذات لون أحمر ساطع، سجلت عليها هذه الكلمات
 الغربية: «اشربوا، هذا دمي» منعش تماماً، وأمسك بيده
 اليسرى كماناً لا ريب أنه يساعد في غناء مسرته وألانه ونشر
 عدوى جنونه في اجتماعات السخرة القليلة.

تعلقت بعراقيه الناعمة بعض حلقات قيد ذهبي مكسور
 وبينما أرغمه الضيق المترتب على ذلك على خفض بصره إلى
 الأرض، تأمل مختلاً مغالب قلعيه، اللامعة المسجلة كحجارة
 مصقولة جيداً.

نظر إليّ بعينه الحزين حزيناً لا سلوان له وقد سألت منهما
 لشوة غائرة، ثم قال لي بصوت مفرد: «إن أردت، إن أردت،
 سأجعلك سيد الأرواح، وستكون سيد المدة الحية بأكثر بكثير
 من سيادة النحات على الصلصال؛ وسوف تعرف المتعة
 المتجددة أبداً، متعة الخروج من نفسك لكي تنسى نفسك في
 الآخر، ومتعة اجتذاب الأرواح الأخرى إلى حد مزجها
 بروحك».

أجبت: «شكراً جزيلاً؛ أنا لا أعرف ماذا أصنع بهذه الحزمة

الرخيصة من الكائنات التي لا ريب في أنها لا تساوي أكثر مما تساويه أنى البائة. وبالرغم من أنني أبعد شيئاً من الضجل في التذكر، إلا أنني لا أريد نسيان شيء، ومع أنني لا أعرفك، أيها الوحش العجوز، إلا أن سكاكيتك الصغيرة وفولويرك الغامضة والقيود التي تربك قدميك هي رموز توضح كل الموضح خطورة مصادقتك. فلتحفظ لنفسك بهدياك.

الشيطان الثاني لم يكن له هذا الملمح المأساوي والباسم في أن، ولا هذه الأساليب المروحية الجميلة، ولا تلك الفتنة الناعمة الشقية. لقد كان رجلاً ضخماً، ذا وجه كبير بلا عيين، مل كرشه الكبير على فخذه، وكانت بشوته ملعبة وساطمة كلها، كوشم وكحشد من الصور الصغيرة المتحركة التي تمثل أشكال البؤس الشامل التي لا حصر لها. فكان هناك رجال قصار ضامرون مسمرين من طيب خاطر، وكانت هناك عذاريت صغيرات ممسوخة هزيلة كانت هبواها تطلب الصدقة لي توصل بفوق توصل أيديها المرتعدة ثم أمهات عجائز يحملن جهائض معلقة بأثدانهن الضامرة. وكان هناك من ذلك ما هو أكثر بكثير.

خبط الشيطان الضخم بتقبضته على بطنه الهائلة فصدمت عنها عندئذ قطعة معدنية مديدة ومدوية انتهت إلى ألين خامض مزلف من أصوات بشرية لا حصر لها. ثم لفته، كائناتاً بوقاحة

من أسنانه العفنة، بضحكة بلهاء دوية، شأن بعض الناس في
شئ البلاد عندما يفرطون في تناول الغذاء.

هذا الشيطان قال لي : «بوسعي أن أعبك ما يجيبك بكل
شيء، ما يساوي كل شيء، ما يقوم مقام كل شيء». وحيط
على بطنه البشعة التي كالا مباحها المجلجل تفسيراً لكلامه
اللفظ.

أشحت وجهي عنه متفوّراً واجبت : «لا احتاج، لأجل
مسرني، إلى بؤس أحد؛ ولا أريد ثروة محزونة، كورق حائط،
بشئ التعاسات المصورة علي بشرتك».

أما فيما يتعلق بالشيطانة، فسوف أكون كذاباً إن لم أعترف
بأنني، لدى النظرة الأولى، قد وجدتها فاتنة فتنة غريبة.
والصريف هذه الفتنة، لن يكون بوسعي مقارنتها بشيء أفضل من
فتنة النساء ولذات الجمال اللاتي تقدم بهن العمر ومع ذلك لا
يشخن ويحتفظ جمالهن بسحر الأطلال الأسر. كنت ذات
مظهر حاسم ومفكوك في آن، وبالرغم من أن عينيها كانت
متعيتين، إلا أنهما كانتا مغمورتين بقوة فاتنة. وما أثار دهشتي
أكثر من سواد هو خلقه صوتها الذي استعادت فيه ذكرى
المغنيات ذوات الأصوات الأكثر حموتاً الأكثر عذرية إلى جانب
شيء من بُخّة الحناجر المفسولة على نحر متواصل سماء
الحياة.

قالت الربة الرائفة بصوتها الساحر والحفارق : «أتريد أن تعرف قوتي؟ اسمع».

عندئذ نخلت في بوق هائل، مزين، كعزماء، بعناوين كل صحف العالم، وعبر هذا البوق صاحت باسمي الذي دوى عبر الفضاء بهزيم مائة ألف رعد ورجع إلي صده من أبعاد كوكب. فهتفت، شبه مفتون: «يا إلهي! هذا هو ما هو تمين بالفعل!». إلا أنني عندئذ أصعقت لتطرق في المسترجعة لمغوية، بدا لي على نحو غامض أنني أعرف عليها إذ كنت رأيتها تدق الأقداح مع بعض الهازلين الذين أعرفهم، أما الصوت الأبح النحاسي فقد أضاف إلى سمعي ما لا أدري أي ذكرى عن بوق موسى.

ومن ثم فقد رجعت، بكل ما عندي من إزواء: «أتريد من وجهي! لم أخلق للاقتراح عشيقاً بعض من لا أريد تسبيحهم».

مؤكد أنني يمثل هذا التكرار الجسور للذات أملاك الحق في الاختصار. لكنني لسوء الحظ استيقظت من النوم وهجرتني كل قوتي. قلت لنفسي: «الحق أنني لا أريد أنني قد نمت يوماً قليلاً جداً وإلا ما أبدت كل هذا الجذر. أها لو كان توسعهم أن يعودوا وأنا يظفان، لما بددت مني كل هذه الضامة».

ورجعت أناذهم بصوت عال، متوسلاً إليهم العفو عني، عرضاً عليهم أن تسربل بالعار كلما كان ذلك ضرورياً لكي تكون جذراً يتبل نعيمهم، إلا أنني لا ريب قد أعتنتهم إهانة جسيمة، فهم لم يرجعوا قط.

شقق المساء

النهال بأقل. سكيناً عامراً تعمر الأرواح الياسة الممتعة من
كذ اليوم، والآن تكتسب الحكمة لها اللون الشفق الرقيقة الغامضة.

لكنما من أعلى الجبل يصل إلى شرفتي، عبر شمامات
المساء الشقيقة، هزيم عظيم الحشد من الصرخات المتناثرة التي
يحولها الفناء إلى تناغم شجي، كناغم المد الصاعد أو تناغم
العاصفة حين تهم بالهبوب.

من التمساء الذين لا يجلب المساء لهم سكيناً والذين،
كالهجوم، يحسبون هبوط الليل علامة من علامات الصخب؟ هذا
التعاب الخفيف يصلنا من المأوى الأسود الجاتم على الجبل،
وفي المساء، وأنا ألتحق وأتأمل سكيناً الولدي الرحب،
المحفوف ببيوت كل نوافذها تقول: «هنا السكينة الآن» هنا
مسرة العائلة!»، يمكنني، حين تهب الريح من الأعالي، أن
أعدهد فكري المتدهش من هذه المحاكاة لتألفيات الحميم.

الشفق يشير المجهتين. أتذكر أن الشفق طرح اثنين من
أصدقائي مريضين. عندئذ صار الأول جاعلاً بجميع علاقات

الصداقة والأدب، وكوحش، أساء معاملة أول قادم. رأته يرمى
على رأس مدير الخدم في فتديء عاجلة صغيرة ممتازة، تصوّر
أنه يرى فيها ما لا ينبغي لأي هيروغليف مهين. وفي المساء،
بشيم الشهوات العميقة، كانت الأشياء الأكثر عذرية تفسد
مزاجه.

أنا الثاني، وهو حموخ محطّم، فكلّا، بقدر هبوط المساء،
يزداد حدة وكآبة وتعذّباً. ومع أنه كان متسامحاً واجتماعياً في
النهار، لأنّه كان لا يرحم في المساء، وكان جنونه الشفوي
ينصبّ في غضب عارم، ليس فقط على الآخرين، بل وعليه
هو نفسه.

كان الأول مجنوناً، عاجزاً عن التعرف على زوجته وطفله،
والثاني يحمل في روحه ضيقاً ناجماً عن قلق أبدي. وحتى لو
نال كل آيات التكريم التي يمكن أن تهبطها الجمهوريات
والأمراء، إلا أنني أظن أن الشلل لن يتوقف عن أن يضيء في
روحه الاشتهااء المعتقد لأوسمة خيالية. المييل، الذي ضمّر
روحيهما بعثمانه، يضيء روحه، ومع أنه ليس من القادر أن
ينتج السبب الواحد نتيجةين متعارضتين، فومني دائماً ما أكون
قلقاً وخائفاً من ذلك.

أره أيها الليل! أره أيتها العتمة المتعشة! أنت بالتحية لي
علامة هيرو باطسي، أنت الخلاص من عذابا في وحشة

السهول، في المشاهدات الحجرية لعاصمة، لمعان النجوم،
انحجار القواري، لبث السهم الناري للإلهة حورية.

لها الشفق، ثم أنت عذب وريق! الومضات الوردية التي
ما تزال تجر جر أنفائها في الأفق كاحتضار نهار تحت قهر ليله
الظافر، نيران الشمعدانات الكبيرة التي تخلقُ بلعاً سمراء معتمة
على حالات الغروب الأخيرة، السكائر الثقيلة التي تشدها يد
لامرية من أعماق الشرق، كلها تحاكي المشاعر المعقدة التي
تتصارع في قلب الإنسان في ساعات الحياة المهيبة.

أو كأننا بآزاء أحد عاتيك الثياب الغريبة للراقصات، حيث
يسمح بئر شفاف ومعتم برؤية المفلن الخفيفة لتورة عارضة،
كما يبين المعاصي الطليد تحت الحاضر الأسود والنجوم
الذهبية والفضية المأرجحة، التي تغمر الخيال، إنما تمثل نيران
تلك التي لا تسطع جيداً إلا تحت ثياب حذاء الليل القاتمة.



XXIII

الوحدة

صحافتي محبٌ ليسر قال لي إن الوحدة مؤذية للإنسان،
وشأن جميع المرتابين، استشهد بكلام آباء الكنيسة تأييداً
لوعده.

أعرف أن الشيطان يتردد بحرية على الأماكن المقفرة، وأن
روح القتل والشق تلتهب التهاباً دائماً في الوحدة. إلا أن من
الوارد أن هذه الوحدة ليست خطيرة إلا بالنسبة للنفس الخاوية
والشاردة التي تملؤها بأهوائها وبأوهامها.

أكيد أن الثقل الذي تمثل منعه الأسمى في السجدة من
فروق متعة أو منبر، يغامر تماماً بأن يصبح مجنوناً مسعوراً في
جزيرة روبنسون. وأنا لا أطلب من صحافتي خصال كروزو
المجسورة، لكنني أطلب ألا يقرر توجيه الاتهام إلى عشاق
الوحدة واللغز.

في أجناسا الثائرة أفراد يمكنهم أن يقلبوا بطور قليل علامات
الإعدام لو سمح لهم بأن يقلبوا من فوق منصة الإعدام خطبة
فيانسة، دون خشية من أن تقطع كلامهم فجأة بفصلة ساكير.

أنا لا ألومهم، لأنني ألتصور أن جيشاناتهم الخطائية تحقق لهم شهوات مسددة للشهوات التي يستمدونها أطروا من الصمت والتأمل، لكنني أحقرهم.

ما أُرغب فيه خاصة هو أن يدعني صحافي اللعين أستمع بطريقتي. قال لي بنبرا أُنقب جد رسولية: «أكن تعالي إذا من الحاجة إلى تقاسم مسرتك مع الآخرين»^{٢٩}. أنظروا الحسود الأرباب! هو يعرف أنني أحقر مسرتك ويريد التسلسل إلى مسراتي، معكز المسرات البشع!

أفلك القناعة الكبرى التي تلمس في العجز عن أن تكون وحيداً...^{٣٠}، في مكان ما قال لا يرويه ذلك، وكأنه يوضح جميع أولئك الذين يسارعون إلى نسيان أنفسهم في الحشد، خائفين لا ريب من العجز عن تحمل أنفسهم بأنفسهم.

أصغر جميع تعاساتنا تقريباً هو العجز عن البقاء في غرفتنا^{٣١}، يقول حكيم آخر، باسكال، فيما أظن، مستحضراً هكذا في خلية الاعتكاف كل أولئك المعجائين الذين يبحثون عن الهناء في الحركة وفي عجزهم يمكنني أن أسميه أطروا، إن شك استخدام لغة عصرنا الجميلة.



المشاريع

خُدْتُ نفسه، وهو يترو، في بستانٍ رحبٍ مترو: «كم ستكون جميلة في ثوب أميرٍ ثري وبالح، وهي تهبط، في جو مساء جميل، السلاطن الرخامية لقصر، أمام مروج وأحواض رحيبة! فهي بالطبع لها سماء أميرة».

وحين قطع شوطاً أبعد في لشارع، توقف أمام محلٍ للتفوق، وعندما وجد في نموذج فني رشة تصور منظراً طبعياً استوائياً، خُدْتُ نفسه: «كلا! ليس في قصر يجب أن أضمن ابتلاك حياتها العزيرة. فهناك لن تكون في بيت، ثم إن تلك الجدران المتفلة بالمذهب لن تدع مكاناً لتعلق صورتها» وفي تلك الروايات المبهمة لا يوجد ركن للمحمية. هذا بالتأكيد يجب الإقامة لرعاية حب حياتي».

ومع استمراره في تحليل تفاصيل النقش بعينه، وأصن مُخَدَّتاً نفسه: «على سفاف البحر، كوخ خشبي جميل، محاط بجميع هذه الأشجار الغريبة الساطعة التي نيك أسلها...» في البحر، راتحة مسكرة، يصعب تحديق ما عينها...» في

الكوخ مطر ورد ومسك قوي... ويعيداً، وراه خيلنا
 الصغير، وزوس صواري يوزجها اضطراب الموج...
 حولنا، وراه الغرفة المضاءة بنور وزدي تخلف من وجهه
 السائر، الغرفة المزينة بحصائر ندية وبأزهار شملة، مع مقاعد
 دائرية مزخرفة وزخرفة برتقالية مثقلة، ومن خشب ثقيل ومعتم
 (حيث يستجلس جد هائلة، مستمتعة بالهواء، مدخنة التبغ
 المخلوط قليلاً بالأفيون)، على خلفية الشرفة وصخب الطيور
 السكري بالنور وثرثرة الزنجيلات التحيلات... وعندما يحل
 الليل، وكمصاحبة لأعلامي، أسمع الأنشودة المتتحة للأشجار
 الموسيقية، لأشجار الفيلو الشجية! بلى، ذلك بالفعل هو
 الجو الذي أبحث عنه. فما حاجني إلى القصص؟

على مسافة أبعد، وقد صار في طرني رجب، لاحظ متراً
 نظيداً جداً، حيث مالت رأسان مرختان من نافذة مشرحة بسائر
 من النسيج الهندي مخطط الألوان. تحدثت نفسه في التو
 والحوال: الأبد لفكري من أن يكون معلوكاً عظيماً حتى يبحث
 في مكان بعيد جداً عما هو قريب جداً مني. فالمسرة والسعادة
 في أول نزل صادقة، في نزل الصلطة، المطعم بالشهوات، نور
 صاطع، زخارف صينية جلابة، عشاء مستساغ، نبيذ حامز،
 وسرير رجب جداً بقرني خشنة قليلاً، لكنها ندية؛ فما هو
 الأفضل من ذلك؟

وعندما عاد وحده إلى بيته، في تلك الساعة التي لا تكون فيها نصائح الحكمة قد احتلقت بعدُ تحت وطأ صخب الحياة الخارجية، أخذت نفسه: «لقد حشت اليوم، في الحلم، في ثلاثة مساكن وجدت فيها مسرة متساوية. فلعلنا أرغم حسدي على تغيير المكان، ماذا كنت روي ترحل بهذه الخفة؟ وما نفع تنفيذ المشاريع، مادام المشروع بعد ذاته متعة كالية؟».



دوروتيه الجميلة

الشمس تلمح المدينة بوجهها المباشر المرهيب؛ الرمل
يخطف الأبصار والبحر لأمع. السحاب الملغول تخور قواه في
جبن ويغلب إلى القيلولة، قيلولة هي نوع من الموت اللديد
حيث النائم، شبه مستيقظ، يتذوق شهوات فثاته.

لكن دوروتيه، القرية والمخورة كالشمس، تتقدم في الشوارع
المقفر، حية وحيدة في تلك الساعة تحت السماء اللاوردية
الرحبة، فتغلب بقعة صارخة وقائمة على الضوء.

لتقدم، مؤرجحة في استرخاء خصرها التحيل على وركبها
الممتلئين. ثوبها الحريري العثير، ذو اللون الشفاف الوردى،
يعين بحبوبة من غيايب بشرتها ويشد شدّاً قريباً قامتها الفارعة
وظهرها الضامر وجبلها المشرتب.

شمسيتها الحمراء، كاسرة حدة الضوء، تسقط على وجهها
الداكن حمرة انعكاساتها الدسوة.

ثقل شعرها الغزير شبه الأزرق يشد إلى الوراء رأسها الرقيقة
ويخفي عليها ملمحاً ظاهراً ومسترخياً. أطراف أتراط ثقيلة تغرد
سراً لأتنيها اللطيفتين.

من أن لأخر برفع نسيم البحر من الطرف تنورتها المشموجة
ويكشف عن سائها الساطعة الفاتنة؛ وقدعها، التي تشبه أقدام
الربات الرخامية التي تحتويها أوروبا في متاحفها، تطع شكلها
يونان على الرمل الناعم. فدوروثيه متأفة أنيقة مدعشة بحيث إن
استمتاعها بأن تكون محل إعجاب يتقلب عندها على شطرنج
المرأة المشحولة، ومع أنها حرة، إلا أنها تمشي بلا حياء.

هكذا تقدم، في نسجام، سعيدة بالحياة ومبتسمة ابتسامة
صافية، كما لو أنها قد رأت على البعد في الفضاء امرأة تعكس
حركتها وجمالها.

في الساعة التي تنس فيها الكلاب نفسها من الألم تحت
الشمس التي تُهرِّجها، ماذا يكون إذا الدافع القوي الذي يجعل
دوروثيه المسترخية، الجميلة والباردة كالبرونز، تمشي على هذا
الشعر؟

لماذا غادرت كوخها الصغير المرتب بأنفة، والذي تجعل
منه أزهاره وحصائر الزهيدة مخدعاً حقيقياً؛ حيث تجد متعة
كبرى في تمطيط شعرها وهي التدخين وفي استخدام مروحتها
أو في التمرير في مرآة مروحتها الكبيرة المصنوعة من ريش
الطيور، فيما البحر، الذي يخبط الشاطئ على بعد مائة خطوة
من هناك، يشكل نقطة قوية وحيدة اللحن مصاحبة لأحلام
يقظتها المتأرجحة، وفيما القدر الحديدية، حيث تظهر يخته من

سرطان البحر بالأرز وبالزعفران، ترسل إليها، من عمق
البحر، عطوراً مبهرة؟

لعلها على موحّد مع ضابط شاب كان قد سمع رفاقه
يتحدثون، على شطآن بعيدة، عن دوروثيه الشهيرة. لاشك أنها
سوف ترجو، المخلوقة البسيطة، أن يصف لها الحفل الرائع
في الأوبرا، وسوف تسأله ما إذا كان بإمكان العمدة أن ينهب
إليه عاري القدمين، كما في رقصات يوم الأحد، حيث
الكافريونات العجائز أنفسهن تصيحن لملات وهاتجات من
الفرحة، كما أنها سوف تسأله ما إذا كانت سيهدم باريس
الجميلات كلهن أكثر جمالاً منها.

دوروثيه محبوبه وعذبة من الجميع وسوف تكون سعيدة
تماماً لو لم تكن مضطرة إلى الانتظار لكي تحرر أسننها الصغيرة
التي ما تزال في الحادية عشرة من العمر، والبالغة بالفعل ورائعة
الجمال. لا ريب أنها سوف تنجح، دوروثيه الطيبة، ملكة
الطفلة بخيل جداً، بخيل كل البطل، بحيث يتعذر عليه أن
ينهم جمالاً آخر غير جمال ليلالات الرنّة!



عيون الفقراء

كنا قريدين أن نعرفى لماذا أكرهك اليوم. لا ريب أن فهم السبب سوف يكون أسير عليك من شرحت لك إياه. فأنت، فيما أظن، أكمل مثال للانحدار الأنثوي يمكن مصادفته.

كنا قد قضينا معاً نهائياً طويلاً حسبته قصيراً. وكنا قد تعاهدنا على أن جميع أفكارنا ستكون مشتركة بين كليهما، وأن روحياً لن نتمردا مثل ذلك الحين غير روح واحدة. وهو حلم لاقرانه فيه، على أية حال، وإن لم يكن قد حلقه أحد بالرغم من أن جميع البشر قد حلموا به.

وفي المساء، وقد تعبت قليلاً، كنت قد أردت الجلوس على رصيف قهوة جديدة على ناحية شارع رجب جديد، كان به يزال مليئاً بالحصى ويؤدي بالفعل على نحو بهي صفاته التي لم تكتمل. وكنت القهوة مثلاًثة. إذ كان مصباح الغاز ينشر فيها كل حرارة البداية وبشيء يكل قوه الجدران الناصعة البيضاء ومفلوش الجدران الباهرة وذعب الزخارف والأفاريز، والخدم ذوي الوجنات الممثلة التي سحبها الكلاب المقودة

من أرساليها، والسيدات الغضا حركات الضعيف الذي حط على معصمهن، والحدوديات والريات اللاتي حملن على رأسهن تماراً وفطائر وطرائد والهيبتات والجاليميدات وهم يقتحمون بطراخ معدودة قارورة الباتاريات الصغيرة أو المسلة ثالثة اللون من المشروبات مختلفة الألوان، التاريخ كله والميتولوجيا كلها ولقد وضعنا في خدمة النهم.

أماننا مباشرة، على قارعة الطريق، وقف رجل شهم في الأربعين من عمره، ذو وجه متعب ولحية وخطها الشهب، ممسكاً بيد صبية صغيرة وحاملأ على الأخرى كائناً صغيراً بالغ الهشاشة بحيث لا يمكنه السير. كان يؤذي واجب سرية الأطفال، مخرج بهما لأجل استنشاق هواء العسة. كلهم كانوا في أسهل، هذه الوجوه الثلاثة كانت صرامة بشكل غير عادي. وهذه العيون الست أثبتت نظراتها على القهورة الجديدة بأعجاب واحد، وإن كان متفارتاً بحسب العمر.

قالت عينا الأب: «يا للجمال! يا للجمال! كأن كل ذهب العالم القليل قد وضع على هذه الجفون». وقالت عينا الصبي الصغير: «يا للجمال! يا للجمال! لكن هذه دار لا يمكن أن يدخلها إلا الناس الذين ليسوا من أمثالنا». أنا عينا الطفل الأصغر فكأننا جد متفونتين بحيث لا يمكنهما التعبير عن شيء سوى القروح الأبله والغامر.

يقول المصفنون إن السرور يسمو بالروح ويريف القلب .
كانت الأفتية على حق في ذلك المساء ، بالنسبة لي . فعائلة
العيون هذه لم تجعل قواذي رقيقاً وحسب ، بل إنني شعرت
بالخجل إلى حد ما من كلؤسنا ودولقنا الأكبر من ظلماتنا .
حوّلت نظراتي إلى نظراتك ، يا حبي العزيز ، لكي أقرأ فيها
فكري ؛ غرقت في عينيك ورائتي الجمال وطريقتي العلوية ، في
عينيك المفضراوين ، المسكونتين بالتزوة والملهميتين بالفرح ،
فإذا بك تقولين لي : أهؤلاء الناس لا يمكنني تحميلهم بعيونهم
المفتوحة كأبواب العربات ؟ ألا يمكنك أن ترجو من ديس خدم
القهرة إعادهم عن هنا ؟

ما أصعب الثقلم ، يا ملاكي العزيز ، وما أصعب تواصل
الفكر ، حتى بين الأحباب !



مِيتَة بَطُولِيَّة

كَانَ فَنَاسِيُولُ مُضْحِكاً بِسَبْحِ الإِعْجَابِ وَيَكَادُ يَكُونُ وَاحِداً
 مِنْ أَصْدِقَاءِ الْأَمِيرِ . إِلَّا أَنَّهُ بِالنَّسَبِ لِمَنْ تَكُونُ مِهْنَةُ الْهَرَلِ
 قُلُوبَهُمْ . تَتَمَيَّزُ الْأُمُورُ الْمَجْدِيَّةُ بِجَانِبِيَّةٍ قَاتِلَةٍ ، وَمَعَ أَنَّهُ قَدْ يَهْدُو
 غَرِيباً أَنْ تَتَسَلَّطَ الْفِكَارُ الْوَطَنِيَّ وَالْحَرِيَّةُ عَلَى عَقْلِ يَهْلُوَانِ ، إِلَّا أَنَّ
 فَنَاسِيُولَ قَدْ شَارَكَ ذَاكَ يَوْمَ فِي مَوَازِمَةِ حَاكِمِهَا تَيْلَا ، سَاحْطُونَ .

وَأَيْنَمَا كُنَّا ، هُنَاكَ أَهْلُ الْخَيْرِ الَّذِينَ يَشُونَ لِلْمُسْلُطَةِ بِأَوَّلَاتِ
 الْأَفْرَادِ ذَوِي الْحِزَاجِ السُّوْفِيَّةِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ خَلْعَ الْأُمَرَاءِ وَنَقْلَ
 الْمَجْتَمَعِ مِنْ حَالٍ إِلَى أُخْرَى دُونَ أَحَدٍ وَأَيُّهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ، وَهَكَذَا
 أَلْقَى الْقَبْضَ عَلَى أَوَّلَاتِكَ النَّهْلَاءِ ، كَمَا عَلَى فَنَاسِيُولَ ، وَبَدَتْ
 إِعْدَابُهُمْ أَمراً مَقْرَراً .

إِنِّي أَسَلِّمُ بِأَنَّ الْأَمِيرَ قَدْ جَنَّ جَنُونَهُ لِقَرِيباً إِذَا وَجَدَ بَيْنَ
 الْحَنَافَرِيِّينَ الْمَعْتَلِّ الْأَثِيرِ لَدَيْهِ . لَمْ يَكُنْ الْأَمِيرُ لَا لِأَفْضَلِ وَلَا لَأَسْوَأِ
 مِنْ أَيِّ أَمِيرٍ آخَرَ ، لَكِنْ حَسَابِيَّةٌ مَفْرُطَةٌ قَدْ جَعَلَتْهُ ، فِي كَثِيرٍ مِنْ
 الْحَالَاتِ ، أَكْثَرَ نَسْرَةً وَاسْتِفْهَاداً مِنْ جَمِيعِ أَمْثَالِهِ . وَلَقَدْ إِنْ هَذَا
 الْمَثْنِ بِمَشَقِّ الْقَتُونِ الْجَمِيلَةِ وَالْخَبِيرِ الْمَمْتَرِ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى ،

لم تكن هناك حدود لإدواء شهواته. وأما كان عقيم المبالاة
 بالبشر وبالأخلاق إلى أبعد حد، وكان قلناً حقيقياً هو نفسه،
 فانه لم يكن له من عذر أنظر من الضجر، وما بذله من جهود
 غريبة للهروب من طافية العالم هذا أو للانتصار عليه، كقيل بأن
 يعود عليه، من طرف مؤرخ قاسي، بلقلب «الغولية»، إن كان
 جائزاً، في مجاله، الكتابة عن حدث لا يدخل فقط في باب
 المتعة أو العجب، بل بعد واحداً من أكثر أشكال المتعة خطراً.
 ومأسة هذا الأمير الكبرى هي أنه لم يكن يملك مسرحاً واسعاً
 بما يكفي لإظهار عبقريته. وهناك نيرونات صغار يختنقون في
 الحدود المفرطة الضيق، ولن تكف العصور القادمة عن نسيان
 أسماهم ونواياهم الطيبة. ولحل أن الأندلس الغارقة قد وهبت
 هذا الأمير ملكات لا تسع لها إمواته.

فجاءت سرية شائعة بأن الأمير ينوي، لعفو عن جميع
 المتأمرين؛ وكان السبب وراء هذه الشائعة هو الإعلان عن
 مهرجان استعراضي كبير تقرر أن يمثل فيه فانسيوك واحداً من
 أهم وأفضل أدواره، بل لقد قيل إن النبلاء المقتلين سوف
 يحضرونه؛ وهو ما دفع السطحيين إلى اعتبار ذلك علامة جليلة
 على كرم شمائل الأمير المفجوع.

من إنسان طبيعي وتلقائي تماماً في عناية أطواره، كل شيء
 متوقع، بما في ذلك القضيلة بين والعفو، خاصة إن كان من

الوارد أن يجد في ذلك متعاً غير متوقعة. إلا أن من تسنى لهم، مثلي، التخلخل في أعماق أحقاد هذه الروح الغربية والمسيحية، رأوا أن الأرجح بما لا يقدر أن الأمير يود المحكم على قيمة المواهب التمثيلية لرجل محكوم عليه بالإعدام. إنه يود الختام الفرصة لإجراء تجربة فيسيولوجية قالت أهمية رئيسية والمعرفة إلى أية درجة يمكن لممتلكات الفنان المعروفة أن ترتبك أو تبدل تحت وطأ الطرف الاستثنائي الذي وجد نفسه فيه، ثم هل كانت في خاطر الأمير نية أكهله إلى هذا الحد أو ذلك في العفو؟ تلك مسألة لم يسن قط توضيحها.

وأخيراً، وقد جاء اليوم المعهود، استعرض ذلك البلاط الصغير كل أبهته، ولولا ما رأت العين لاستحال تصور كل ما تحملت الطلة المميزة، في إمالة صغيرة، محدودة الموارد، أن تبليغ من أبهة في حفل حقيقي. هذا الحفل كان حقيقياً من زاويتين، أولاً من زاوية مسرح الطرف المهيمن وثانياً من زاوية الأهمية الأدبية والمحيرة التي أضفيت عليه.

تألق السيد فالسبول خاصة في الأتوار الضامة أو لفيفة الكلام، وهي غالباً الأدوار الرئيسية في مسرحيات الجن تلك الهادفة إلى التعبير رمزياً عن لغز الحياة. دخل المسرح في هدوء ولزجاج كامل، وهو ما أسهم في تعزيز فكرة المفطرة والمفوق عند جمهور النبلاء الحاضرين.

حين نقول عن ممثل: «علما ممثل جيد»، فإننا مستخدم صيغة تعني أن بالإمكان أيضاً تمييز الممثل، أي الفن، المجهود، الإرادة، خلف الشخصية، والحال أنه لو توصل ممثل إلى أن يكون، قياساً إلى الشخصية التي يتعين عليه التعبير عنها، ما كانت أفضل لممثل العصر القديم، المعصمة بالحياة وبالحيوية، العاشقة على أقداسها والرائية، قياساً إلى الفكرة العامة والمشوشة عن الجمال، فلأمراء في أن تلك سوف تكون حالة فريدة وعمر متروكة بالمرّة. في تلك الأمسية، كان فانسبول نموذجاً مثالياً تاجراً، بحيث يستحيل الشك في أنه نموذج حي وممكن وواقعي. أخذ هذا المهرج يتحرك جيئة وذهاباً، وهو يضحك ويكي ويتشجج، فيما طوقت رأسه حاة لا تمحي، حاة غير مرفقة للجميع، لكنها مربية لي، امتزجت فيها، في اتحاد غريب، أشعة الفن وعزة الاستشهاد، وبما لا أرى أي جمال خاص، مزيج فانسبول ما هو إلهي وفوق طيحي بأكثر تهريجاته المقلات. ريشتي تهنر في يدي ودموع تآثر مائل أبداً تصعد إلى عيني بينما أحاول أن أصف لكم تلك الأمسية التي لا تنسى. يشكك حاسم لا سبيل إلى المصاراة فيه، أنت لي فانسبول أن نشوة الفن أقدر من كل نشوة أخرى على حجب رعب الهلوة أن التبرؤ فادر على تمثيل الملهة على حاة القبر بفرحة تحول بينه وبين رؤية القبر، ملهم غارقاً في فردوس يدد كل فكرة عن الموت والهلاك.

كل هذا الجمهور، مع ما قد يكون عليه من جسيم الإثارة
 للفتور ومن ثقافة لا حد لها، سرعان ما يستشعر جيروت هيمنة
 الفنان. لم يعد أحد يفكر في الموت أو الحذاء أو العذاب.
 استسلم الجميع، دون قلق، للشهوات الهينة المتطهرة من
 مشاهدة عمل فني رائع حي. فوراثات الفرحة والإعجاب هزت
 عدة مرات قباب المعنى بقوة رعد متواصل. الأمير نفسه،
 مثلياً، مزج استعصافه باستحضارات بلاطه.

لكن نشوته، بالنسبة لعين ثاقبة، لم تكن بلا شائبة. هل
 شعر بأنه مغلوب في سلطته الاستبدادية؟ مهان في فن إرهابه
 للقلوب وإخماده للأرواح؟ محبط في أحاسيسه ومثار سخرية في
 تقلبه للأمور؟ مثل هذه الافتراضات غير المبررة بانضبط وإن
 كان لا يتعلم بصورة مطلقة تبريرها، خطرت ببالي وأنا أتأمل
 وجه الأمير الذي تراكب على شحوبه المعهود لشحوب جديد
 متواصل. لراكب الغيمة على الغيمة. لم يتوقف عن ذم شقيقه،
 فيما اتقدت عينه بنار باطنية كتار الغيرة والضغينة، حتى وهو
 يتظاهر باستحسان مواهب صديقه القليل، المهرج العربي
 الهازئ من الموت رائع الهز. وفي لحظة ما، رأيت سموه
 يحيل على خادم صغير، واقف خلفه، ويهيم له بشيء. سيعاء
 الغلام الجميل الخبيثة تهلمت بانتسامة ثم غادر المقصورة
 الأميرة في حيرة، كما لو كان لأجل أداء مهمة ملحة.

بعد دقائق، فاطم صغير حاد طويل الفانيول وهو في خصم واحد من الهوى جيشانائه، ومزق الأسماك والأفئدة في آن. من الجهة التي صدر عنها هذا الاستهجان المبالغت، اندفع طفل في أحد الممرات، كاتماً ضحكاته.

في البداية، الخمس فانيول عنيه، وقد استبظ من حلمه، ثم عاؤد فتبعهما في قنور الحال تقريباً، فبدنا واسعتين اتسحاً غربياً، ثم فتح فمه لكي يتنفس في تشنج، مترنحاً قليلاً إلى الأمام وقليلاً إلى الوراء، ثم هوى جثة هامدة على خشبة المسرح.

الصغير، السريع كضربة سيف، هل أحبط البطلان حقاً؟ هل توقع الأمير نفسه كل ما لحذخته من كثافة في القتل؟ يجوز الشك في ذلك. هل خامره الأسف على فانيوله العزيز الفريد؟ جميل ومشروع أن تصور ذلك.

لآخر مرة استمتع النبلاء المقتنون بالقرجة على المنهاة. وفي الليلة نفسها جرى محوهم من الحياة.

منذ ذلك الحين، جاء للتمثيل أمام بلاط * * * ممثلون إيمانيون حديدون، يحفظون بتقدير مشروع في أكثر من بلد، لكن أحداً منهم لم ينجح في مجازاة مواهب فانيول الرائعة، ولا في السمو إلى المكرمة التي كانت من نصيبه.



العملة المزيفة

بعاً أننا كنا قد ابتعدنا عن مكتب البيع، فقد أخذ صديقي
 يفرز نفوده فرزاً دقيقاً، في الجيب الأيسر لصندوقه، خمس
 العملات الذهبية الصغيرة، وفي الجيب الأيمن، خمس العملات
 الفضية الصغيرة، وفي جيب بتطلونه الأيسر، خمس كعكة وقيرة
 من الحلوات الكبيرة، ثم خمس في الجيب الأيمن قطعة فضية
 من فئة الفرتكين بعد أن فحصها باهتمام.

حدثت نفسي أيا له من توزيع لريد ودقيق!، ضائقاً فنيراً
 مدّ لنا كاسكيتته وهو يرتعش. لا أحرف شيئاً أكثر إثارة للقلق
 من البلاغة الخرساء لهذه العيون المتوسلة التي تحتوي في آن،
 للإنسان الحساس الذي يعرف قرائنها، قدرأ كبيراً من الشعور
 بالمهانة ومن التيكيت. هناك شيء ما يلقاب هذا العمق
 للمشاعر الحركية في أعين الكلاب الدسعة حين تتعرض
 للضرب.

كان تبرع صديقي أكبر بكثير من تبرعي، فقلت له أنت
 على حق، بعد متعة المشعة، لا نعرف هناك متعة أكبر سوى

متعة المفاجأة. فأجابني بهدوء، تبريراً لإغداقه: «تلك كانت
المتعة المزيفة».

إلا أنه في عقلي البائس، المهموم دائماً بالبحث عن
المصاعب حيث لا توجد (بالملكمة المتينة التي أنعمت علي بها
الطبيعة!)، دخلت فجأة فكرة مؤداها أن مثل هذا المسلك، من
جنب صديقي، لا يمكن تبريره إلا بالرغبة في إحداث مفاجأة
في حياة هذا الرجل المسكين، بل وربما بالرغبة في معرفة
النتائج المتبينة، المشروعة أو غير ذلك، والتي يمكن أن ترتب
على وجود قطعة تقود زائفة في يد شخص. أليس من الواضح أن
تشكائر في قطع حقيقية؟ أليس من الواضح أيضاً أن تلوده إلى
السجن؟ لقد ينجح صاحب خسارة أو صاحب مخبز في توقيفه
باعتباره مزيفاً للتقود أو مروجاً للعملة الزائفة. كما أن قطعة
التقود الزائفة يمكن أن تكون، بالنسبة لمضارب صغير بائس،
بلذة ثروة لعدة أيام. وهكذا مضت تخيلاتي في طريقها،
مضطربة أجنحة على تفكير صديقي ومستخلصة جميع
الاستنتاجات الممكنة من جميع الاقتراحات الممكنة.

لكن صديقي قطع تخيلاتي فجأة، مستعيداً كلماتي: «هيلي،
أنت على حق؛ فليست هناك متعة أجمل من مفاجأة إنسان
بمنحه أكثر مما يمكن أن يتصوره».

نظرت إليه في يابن عيني وهالتي أن أرى عيني ولدت المتعة

بهر حال لا جدال فيها. عندئذ رأيت بوضوح أنه لابد أن يقوم في
 آن واحد بعمل من أعمال البر وبصفقة مريحة؛ أن يكسب
 أربعين مولاً وقلب الله؛ أن يستولي على القردوس بلا مقابل
 يذكر، ثم أن يحصل مجداً على شهادة إنسان من أهل
 الإحسان. ويمكنني أن أقوله تقريباً تلك الرغبة هي المشعة
 الإجرامية التي رأيت للتو أنه قاد عليها؛ ولابد أن من الغريب
 والمثالي أن يستمتع بتوريط الففراء؛ لكنني لن أقوله أبداً حميدة
 حساباته. لا عذر بالمرة لأن يكون الشرء شريراً، إلا أن هناك
 ماثرة ما في أن يكون الشرير عليماً بأنه شرير. والردفة
 الأصعب على العلاج هي ذيلة الخراف الشر من باب الحماقة.



المقامر الكريم

البلوحة، عبر الحشد الذي غمر الطريق، أحسنتي وقد احثك بي كائن ملغز طالما رعبت في التعرف عليه، وقد تعرفت عليه من قوري، مع أنني لم يسبق لي قط أن رأيته. لأمراء في أنه كانت تضرره، حيالي، رغبة مماثلة، لأنه، في مروره، غمز لي غمزة لها دلالتها سارعت إلى الانعياح لها. سررت في أثره مرارياً مقامه وهبطت سريعاً وراءه إلى دار تحت الأرض، باعرة، بئلا فلا فيها لرف لا يسع أحداً من لرقى سكان باريس أن يقدم مثلاً يدنيه. وبدا لي عرباً أن يكون قد تسنى لي المرور كثيراً بجانب هذا الملاة المهيب دون أن أخمن مدخله. هناك هيمن جو ساحر، وإن كان مدوْحاً، يؤدي بشكل يكاد يكون قوياً إلى نسيان المظاهرات الممثلة في الحياة؛ وكان بإمكان المرء أن يستلشق في ذلك المكان غبطة خافتة مشابهة للبطقة التي لابد أن يستشعرها أكلو الثونس الذين، إذ يهبطون إلى جزيرة مسحورة، تضفيها أقواء ما يعد ظهيرة أبدية، يحسون أنهم تولد فيهم، على وقع أصوات ضلالات شجية تؤدي إلى

النعمس، رغبة في ألا يعودوا أبداً إلى دوة بيوتهم، زوجاتهم،
أولادهم وألا يعودوا البتة إلى ركوب أمواج البحر العالية.

كانت هناك وجوه غريبة لرجال ونساء، موسومة بجمال
قاتل، بدا لي أنني رأيتها من قبل في عصور وفي بلاد كان
مستحيلاً عليّ تذكرها بالضبط، وألهمتني تعطفاً آخرى بدلاً من
فلك الخوف الذي يولد عادة حيال المحبوس. والى لودت
السعي إلى أن أعرف بشكل ما تعبير نظراتها الفريد، فقلت إنني
لم لو من قبل قط عيوناً تُشيط لتمعاً بالدمع من السأم والرغبة
السرمدية في استعمار الحياة.

بعد أن جلسنا، كنت أنا ومضيفي قد أصبحنا بالفعل
صديقين قديمين وفاجزين. أكلنا وأسرفنا في الشراب من جميع
أنواع الأثيلة غير العادية، ومن الأمور التي ليست للفراسة أنه
بدا لي، بعد عدة ساعات، أنني لم أكن أكثر منه سكران. على
أن القمار، هذه البتة فوق الإنسانية، كان يقطع، على فواصل
زمنية مختلفة، تناولنا المتكرر المفرط للخمر، ولا بد أن أقول
إنني قامرت وخسرت دوسي، شبه الطفولة، بلا ميالاة
واستخفاف بطوليين. الروح شيء غير محسوس جداً وغير مجد
غالباً إلى حد بعيد وجد مزعج أحياناً بحيث إنني لم أشعر،
حيال هذه الخسارة، إلا بقدر أقل من التأثر مما لو كنت قد
أضعت، في نزعة، بطاقة الزيارة التي تخصني.

دخلنا طويلاً سيجارات كان من شأن تكهنتها وعطرها اللذان لا مثيل لهما أن يشا في الروح حلياً إلى بلاد وهتات مجهولة، وبينما كنت منكراً بكل هذه المخلوقات، وفي نوبة ألفة لم يد أنها لا تروق له، تجرأت وهتفت وأنا أتناول كأساً مليحاً إلى حافة: «في صحتك الخالدة أيها النيس العجوز!».

ثم إننا تحدثنا عن الكون، عن خلقه وعن دماره الأني، عن فكرة العصر الكبري، فكرة التقدم وإمكانية بلوغ التكامل، و، عموماً، عن شتى صور غرور البشر. وحوّل هذا الموضوع، لم يدخر صاحب السمو ذنكاته الخفيفة والتي لا صيبيل إلى المصاراة فيها. وغير عن نفسه بعنوان أسلوب ويهدوه في المزاج لم أجدعما في أي من أشهر محدثي البشرية. وشرح لي سطح مختلف الفلسفات التي استولت حتى الآن على العقل البشري، بل إنه قد ذكرم وأقضى لي ببعض المبادئ الأساسية التي لا يلبق بي أن أتناغم فوائدها وحيلازتها مع أي كان. ولم يشك بأي شكل من سوء السمعة الذي يمتنع به في شتى أجزاء العالم وأكد لي أنه، هو نفسه، الشخص الأكثر اعتناءاً بالقضاء على الخوافة واعتراف لي أنه، فيما يتعلق بسلطته الخاصة، لم يستشر الخوف إلا مرة واحدة، وكان ذلك عندما سمع واحطاً، أكثر براعة من زملائه، يصيح من على المنبر: «فيخوتي الأعراء، لا تنسوا أبداً، عندما تستمعون إلى تمجيد تقدم المعارف، أن أقوى خدع الشيطان هي إقناعكم بأنه لا وجود له!».

والحال أن ذكرى هذا الخطيب الشهير قد قادتنا بالطبع إلى موضوع الأكاديميات، وقد أكد لي مضيفي الغريب أنه، في كثير من الحالات، لم يزد إلهام ريشة وكلام وضعر المربين وأنه قد حرص دائماً على الحضور بشخصه، وإن كان بشكل غير مرتني، في جميع الجلسات الأكاديمية.

وإذ شجعتني كل هذه المكارم، سألته عن أخبار الرب وما إذا كان قد رآه مؤخراً. فأجابني بلامبالاة بشويها قدر من الحزن: «إننا نتبادل التحية عندما يتصادف لفلانا، ولكن كجنتلمانين قديمين، حيث لا يمكن لأيهما القطري أن يفتنى تماماً ذكرى العداوات القديمة».

من المشكوك فيه أن يكون صاحب السمو قد أتاح قط لقاء طويلاً كهذا لأحد من القاضين العاديين، وقد خشيت من التعادي. وأخيراً، بما أن القجر المرتعش كان قد غسل زجاج التوافد، قالت لي تلك الشخصية الشهيرة التي غنى لها الكثير من الشعراء وخدمها الكثير من الفلاسفة الذين عملوا لأجل مجدها دون علم منهم: «أود أن تحفظ عني بذكرى طيبة وإن تثبت أنني، الذي قيل عنه الكثير من قول السوء، أحياناً ما أكون شيطناً طيباً، إذا ما استخدمت واحداً من تعبيراتكم العامية. وحتى أعوضك عن الخسارة التي لا علاج لها بمقامرتك الخاسرة على روحك، فإنني أمتعك الرهان الذي

سوف تريحه إذا ما كان الحظ إلى جانبك، أي إمكانية أن تخفف وأن تقهر، طوال حياتك، مصيبة السأم الغريبة هذه، والتي هي سبب كل أمراضكم وكل تقدماتكم اليائسة، ولن يحدث أبداً أن تصوغ رغبة إلا وسوف تجدني عوناً لك على تحقيقها، سوف تهيمن على أمثالك المبتلين، وسوف يكون من نصيبك التملقات بل والتبجيلات، أما المال والذهب والحاسر والقصور السحرية فسوف تبحث عنك وترجوك أن تقبلها، دون أن تبذل جهداً للحصول عليها، وسوف تغير وطنك وبلدك مرات كثيرة بقدر ما يعلى ذلك خيالك، وسوف تشمل بالشهرة، دون ملل، في بلاد غائنة حيث الجود ملق دائماً وحيث النساء لهن رائحة زكية كرائحة الأزهار، .. الخ، الخ... الخاف وهو ينهض ويودعني بالسلامة سارة.

والولا أنني خشيت من تحريك توازنه أمام هذا الجمع العظيم، لسجدت عن طيب خاطر عند قدمي هذا المقامر الكريم شاكرًا له سعادتي الذي لم يسمع بمثله قط.. إلا أنه شيئاً فشيئاً، بعد أن فارقت، عاد إلى صدري الشك الذي لا علاج له، ولم يعد بوسعي أن أصبغ مثل هذه السعادة الهائلة، وإن رفدت استعداداً للثوم، معوداً صلاتي بحكم بقية من عادة بلهاء، كررت في شبه تعاس: «إلهي! مولاي، إلهي! أرجوك أن تعمل على أن يلى الشيطان لي بوعده».

الحبل

إلى إبحار مائي

قال لي صاحبي: «ربما كانت الأوهام لا تخص كملقات البشر فيما بينهم، أو كملقات البشر بالأشياء. وعندما يتلاقى الوهم، أي عندما نرى الكائن أو الحدث كما هو موجود خارجنا، نستشعر إحساساً غريباً، هو مزيج من الأسف على الشبح الزائل ومن الدهشة السارة حيال الجدة، حيال الحدث القملي. وإذا كانت هناك ظاهرة واضحة، عادية، متشابهة دائماً، وذات طبيعة من المستحيل على المرء أن يخطئ تمييزها، فهي ظاهرة حب الأم لأبنائها. ومن الصعب تخيل أم دون حب لأبنائها صغوية تخيل ضوء دون حرارة؛ وأليس من المشروع تماماً والحال كذلك أن نرجع إلى حب الأم لأبنائها كل أفعال وكلمات أم، متصلة بابنها؟ ومع ذلك، استمع إلى هذه الحكاية القصيرة التي حدثت فيها على نحو فريد بالوهم الأكثر طبيعة.

«إن مهنتي كرسام تدفعني إلى النظر بانتباه إلى الوجوه،

السحنات التي تظهر في ظريفي، وأنت تعرف مدى البتعة التي نستمدّها من هذه المملكة التي تجعل الحياة في أحياتنا أكثر حيوية وأبلغ دلالة معاً هي الحال بالنسبة للناس الآخرين. وفي الحى البعيد حيث أقيم وحيث ما تزال مساحات خضراء واسعة تتصل بين البنايات، غالباً ما راقبت صبيّاً أغترتني قبل كل شيء سمحت الحيوية والمفرّية بشكل يتفوق كل السحنات الأخرى. وقد جلس أمانى أكثر من مرة لكي أرسمه، فحوّلت نارة إلى بوعيين صغير ونارة أخرى إلى ملاك، ونارة ثالثة إلى حب ميتولوجي. وجعلت يحمل كمان الصعلوك وتاج الأشوك ومسامير الألام ومشمعل إيروس. ومن كل غرابة وطرافة هذا الصبي، حصلت أخيراً على مسرة جدّ مقعنة بالحيوية بحيث إنني رجوت ذات يوم والديه، وهم لاس قفراء. أن يتركاه لي، وأعداً بأن أحسن كساده وبأن أعطيه قدرّاً من المال وبأن أغرض عليه منطقة سوى مشقة تنظيف ريشاتي وأداء الخدمات التي أحتاج إليها. والحال أن هذا الصبي، وقد اغتسل، قد أصبح فاتناً، أما الحياة التي عاشها عندي فقد بدت له فردوساً، مقارنة بالحياة التي كان يكابدها في كوخ والديه القذر. لكنني يجب أن أقول إن هذا الصبي كان يدهشني أحياناً بلزومات حزن مبكر غريبة كانت تتلبه، وأنه سرعان ما أبدى ميلاً مسرفاً جداً إلى تناول الشكر والمشروبات الروحية بحيث إنني، حين رصدت ذات يوم أنه، بالرغم من تحذيراتي العديدة، قد عاد إلى احتلاس جديد من

هذا النوع، هددته بإعادته إلى والديه. ثم خرجت وأبغضني
شواغلي خارج بيتي وفقاً لطوبى.

فوما أفلح ربي ودمعني لدى عودتي إلى البيت حيث كان
أول ما شد بصري هو فتاتي، رفيق حياتي العفريت، الذي كان
معلقاً بفنائه هذا الدولاب! كانت قدماه تكادان تلعبان
الأرضية! وإلى جواره كرسي مقلوب، لا شك أنه كان قد ركنه
بقدمه! وكانت رأسه مائلة في اختلاج على كتفه! أما وجهه
المثورم وجهاء المفتوحاتل عن آخرهما بشعر من مربع، فقد
أروعني في البداية بأنه مازال حياً. ولم يكن إزاله مهمة جد
سهلة كما قد تتصور. كان قد أصبح بالفعل متصبلاً جداً، وقد
استشعرت نفوراً بتعلم تفسيره من إسفاحه مرة واحدة على
الأرضية. وكان يتعين أن أستد كفه بفراخ وأن أقطع الحبل بيد
الذراع الأخرى. لكنني بعد أن فعلت ذلك، لم يكن الأمر قد
انتهى! فالوحش الصغير كان قد استخدم خيطاً بالغ الدقة انغرز
انغرازاً عميقاً في اللحم، وكان يتعين الآن البحث، بمقص
دقيق، عن الحبل بين هوي التورم، لتخليص رقبته.

فأنتني أن أقول لك إنني طلبت العون بقوة! لكن جميع
جيرانني رفضوا المجيء لمساعدتي، أوفياء في ذلك لعادات
الإنسان المتحضر الذي لا يريد البتة، لأسباب لا أعرفها،
التدخل في شئون مشرق. وأخيراً جاء طبيب أعلن أن العصب

ميت منذ عدة ساعات. وبعثنا الخدما، بعد ذلك، على خلع
ملائسه استعداداً لتكفنه، كانت صلاة الجثة شديدة بحيث إننا
اضطررنا، بالنسبة من نبي الأخصاء، إلى تمزيق وقطع الثياب
لتجريد منها.

«أما مأمور الشرطة الذي كان عليّ بالطبع بإلاغه بالحادث،
فقد نظر إلى شلوا وقال: «هنا شيء مرعب»، مدفوعاً دون
شك برغبة مناصلة وبعادة مهنية في بث الخوف، مهما حدث،
في صدور الأبرياء والعذبيين على حد سواء.

«لميت مهمة كبرى يتعين إنجازها، كان من شأن مجرد
التفكير فيها أن يسبب لي كرباً رهيباً: لقد كان يتعين إبلاغ
الوثائقين. وقد رفضت قدمائي السير بي إلى هناك. وأخيراً
واتتني تلك الشجاعة. لكن الأمر الذي أثار عظيم استغرابي أن
الأم تقلت الخبر يهدوء أعصاب ولم تفر دعة من أعان عينها.
وقد أرجعت هذا الأمر الغريب إلى الهلع نفسه الذي لا بد أنها
قد كابته، وتذكرت العبارة المعروفة: «الآلام الأكثر فظاعة هي
الآلام الخرساء». أما فيما يتعلق بالأب، فقد اكتفى بالقول بنبوة
شبه مغبولة، شبه حالمة: «علي أية حال، ربما كان من
الأفضل أنه انتهى بهذه الطريقة؛ فقد كان مقدراً له دسماً أن
ينتهي نهاية سيئة».

«وبينما كان الحسد ممدداً عليّ لربكتني وكنت منشغلاً

بالاستعدادات الأخيرة، تساعدني خلاصة، دخلت الأم إلى
مرسعي. وقالت إنها تريد رؤية جسمي بيضاء. والحل أنني لم
يكن يوسعني أن أمنعها من السكر بللواها وأن أحرمها من هذا
العزاء الأخير والكتيب. ثم رجعتني أن أرى المكان الذي شق
فيه صغيرها نفسه. فأجبته: «أره! لا! سيدتي، هذا سوف
يحزنك». وبعد أن عيني قد اتجهت بشكل لا إرادي نحو
الدولاب الكتيب، فقد رأيت، بنفور مطروح بالرهبة والسطوة،
أن المسمار قد ظل مثباً في الواحة، حيث كان ملال يتدلى
طرف طويل للحبل. فاندفعت بقوة لتزع هذه الأثار الأخيرة
للمصيبة. وبعد أنني كنت يسير إلى ريمها إلى الخارج عبر
النافذة المفتوحة، لقد أمسكت المرأة البائسة بقراعي وقالت لي
بصوت لا يقاوم: «أره! سيدي! أترك لي هذا أرجوك! أترسل
إليك!». وبدا لي أن استعانتها قد أصابته، لا شك، بجنون
فداح بحيث إنها قد تعلق الآن في رقة بهذا الشيء الذي كان
وسيلة موت ابنها وأرادت الاحتفاظ به كإثر مريع وعزيز. -
واتزعت المسمار والخيط.

«والخبر! أخيراً! ثم إنجاز كل شيء». ولم يبق بعد إلا أن
أعود إلى العمل، بشكل أنشط بكثير من المعتاد، حتى أطره
شيئاً فشيئاً هذه اللجنة الصغيرة التي تلازم أفوار رأسي والتي
يؤرقني شبحها بعباءة الواسعين الشاحصين. لكنني تلتفت في

صباح اليوم التالي ولزمة من الرسائل : بعضها من مستأجري المنزل الذي لم يكن فيه ، وبعضها الآخر من القيوت المجاورة ، واحدة من الطابق الأول ، وثانية من الطابق الثاني ، وثالثة من الطابق الثالث ، وهلم جرا ، بعضها مكتوب بأسلوب شبه متع ، وكأنها تحاول أن تحلّي تحت ستار من الدعاية الظاهرية صدق لطيب ، وبعضها الآخر من فيه مشكل ندح ويعوز طبع الإملاء ، لكنها كلها ترمى إلى هدف واحد ، هو الحصول مني على قطعة من الحبل المشقوم وجالب البهجة ، ويجب أن أقول إنه كان بين الراسلين نساء أكثر من الرجال ، لكن الجميع ، صدقني ، لم يكونوا يهتمون إلى طيفة عديم الشأن والعوام ، وقد احتفظت بهذه الرسائل .

«وهتدئذ ، سمعت بارقة في رأسي فجاء ، وانفركت لعلنا نمسكت الأم بأن تفتزع مني الخيط وبأي تعامل أرادت السلوان» .



المصائر

في حديقة جميلة حيث بدت أشعة شمس خريفية وكانت
تهدى حبال المتعة، تحت سماء مخطرة بالفعل حيث راحت
تلمح سحب ذهبية كفوارات مسافرة، أخذ أربعة أطفال
وسيمون، أربعة صبيان، يتحدثون فيما بينهم، بعد أن منعوا
من اللعب لا ويب.

قال أحدهم: «أمس أخذوني إلى المسرح، في تصور
عظيمة وحزينة، يرى المرء في خلقها البحر والسماء، راح
رجال ونساء، جادون وحزائي أيضاً، لكنهم أجمل بكثير
والفضل لباساً بكثير من أولئك الذين نراهم في كل مكان،
راحوا يتكلمون بصوت رخيم، كانوا يتبادلون الشهادات
ويتطرحون ويتأسفون، وغالباً ما كانوا يستنون أذنيهم على
خنجر مغروز في زئارهم. أذا كان ذلك جميلاً جداً كانت
النساء أجمل بكثير وأعظم بكثير من أولئك اللاتي نحن نرانا
في البيت، ومع أنهن بأعينهن الواسعة الغدرة وبوججتهن
المتأججة كن مرعات المظهر، إلا أن المرء لم يكن يوسع

الامتناع عن أن يحبهن. يخاف المرأة، ويشتهي ذكائه. لكنه يشعر بالرغى... ثم إن ما كان قريباً هو أن ذلك يجعل المرأة يشتهي ارتداء الملابس نفسها وأن يقول ويفعل الأشياء نفسها وأن يتكلم بالصوت نفسه...».

فجاء، قال طفل من الأطفال الأربعة، كان منذ ثوان قد توقف عن الاستماع إلى كلام رفيقه وراح ينظر نظرة شاحصة غريبة إلى ما لا أدري أية نقطة في السماء: «انظروا، انظروا هناك... هل ترونه؟ إنه جالس على تلك السحابة الصغيرة المنفردة، تلك السحابة الصغيرة التي يكون النار، التي تنهادر، هو أبيضاً، يبدو أنه ينظر إلينا».

تسأل الآخرون: «والكن من يكون إذا؟». أجاب بشرة يقين لا تشوبها شائبة: «الرب! أدا لقد أصبح بعيداً بالفعل: سريعاً، لن يكون بوسعكم بعد رؤيته. لا ريب أنه مسافر، لزيارة بلاد أخرى. انظروا، إنه سوف يمر وراء ذلك الصف من الأشجار الذي يكاد يكون عند خط الأفق... والآن يهبط خلف برج الأجراس... أدا لم يعد بالإمكان رؤيته!». وإلى الجهة نفسها، ظل الطفل ملتفتاً لوقت طويل، مثبتاً على النقط الذي يفصل الأرض من السماء عيتين يلمع فيهما تعبير لا سبيل إلى تفسيره عن النشوة والأسف.

عندئذ قال الثالث، الذي كان كلى شخصه الصغير متميزاً

ينالها وحبوبة قريدين: «ألمر غبي هذا نريه الطبيب الذي لا
 يمكن إلا له وحده أن يراه أنا سوف أحكي لكم كيف حدث
 لي شيء ثم يحدث لكم قط وهو أكثر إثارة إلى حد ما من
 مسرحكم ومن سخاياتكم. - قبل عدة أيام، أخذني والدي لي
 رحلة معهما، وبما أنه لم يكن في التزلج الذي تركنا فيه ما يكسر
 من الأسرة لنا كلنا، فقد تقرر أن أقام في سرير واحد مع
 مريمي. - وجذب رفاقه بالقرب منه وقال بصوت أكثر
 انخفاضاً. - «ألا ترقد بمفردك وأن تكون في سرير مع مريمك،
 في العتبات، هذا له أثر قريد. وبما أنني لم أقم، فقد
 استمتعت، خلال نومها، بشعر يدي على نهدتها، وعلى رقبته
 وعلى كتفها. كان نهداها ورقبتها أكبر بكثير من نهود ورقاب
 جميع النساء الأخريات، وكانت بشرتها جد ناعمة، جد ناعمة،
 بحيث إنه بدا وكأنها من ورق الرسائل أو من ورق من حرير،
 وقد استمتعت بذلك كثيراً بحيث إنني كان من الممكن أن
 استمر لوقت طويل، لولا أنني كنت خائفاً، خائفاً من إيقاظها
 أولاً، ثم خائفاً أيضاً مما لا أدري ما هو. ثم دفنت رأسي في
 شعرها الذي استمر على ظهرها، كثيراً كمرف الخيل، وأكد
 لكم أن رائحته كانت شديدة كرائحة أزهار الحديقة، في هذه
 الساعة. حاولوا، عندما يتسنى لكم ذلك، أن تضعوا مثل ما
 فعلت، وسوف ترون!»

والحال أن الصبي صاحب هذا الكشف المخارق كانت عيناه وهو يحكي حكاياته، جامعيتين في نوع من القهول مما كان ما يزال يستشعره، ثم إن أشعة الشمس الغلورية، وهي تنساب عبر الخصلات الشفراء لشعره المشعث قد أضاءتها كهالة سولفوروية من الهوى. وكان من السهل تخمين أن هذا الصبي قد لا يضيغ حياته في البحث عن الرب في السحب وقد يجدها غالباً في أماكن أخرى.

وأخيراً قال الرابع: «تعرفون أنني قلما أستمتع في البيت؟ فلا أحد يأخذني البتة إلى المسرح» وولي أمرى شحيح جداً؟ والرب لا يهتم بي ولا بسألي، وليست لي مربية جميلة لتدللني. وغالباً ما بدا لي أن متعتي سوف تكون هي أن أمتشي دائماً قداسي مباشرة، دون أن أعرف إلى أين، ودون أن يتزعج أحد من ذلك، وأن أرى دائماً بلاناً جديدة. لم أكن قط على ما يرام في أي مكان ودائماً ما أتصور أنني سوف أكون أفضل في مكان غير المكان الذي أنا فيه. حسناً لقد رأيت في السوق الكبرى الأخيرة في القرية المجاورة ثلاثة رجال يعيشون كما أود أن أعيش. أنهم لم تنتهوا إليهم. كانوا طوالاً، شبه سود، جد فظوظين، مع أن لباسهم رثة، وكان مظهرهم يوحي بأنهم غير محتاجين لأحد. أما عيونهم الزايدة الكافية فقد أصبحت لامعة تديماً عندما أطلوا بمزفون الموسيقى؛ وهي موسيقى جد مدعشة بحيث إنها تثير تارة الرغبة في الرقص، وتارة أخرى

الرغبة في البكاء، أو هذه وثلك معاً في آن واحد، وبحيث إن المرء يصبح كالمحتون لو استمع إليها طويلاً. أحدهم، وهو بحسب قومه على كلمته، بدأ أنه يحكي عن كرب، والآخر، وهو ينطق مقرعته الصغيرة على أوتار بركة صغيرة معلقة في رقبته بحزام، كان له مظهر من يسخر من شكوى جاره، بينما راح الثالث من آن لآخر ينفق صنجيه النحاسيين بعنف طهر عادي. وكانوا جد راضين من أنفسهم بحيث إنهم واصلوا عزف موسيقاهم الوحشية حتى بعد أن تعرق الجميع. وأخيراً جمعوا ملائيمهم وحملوا أفراسهم على ظهورهم ودخلوا. ولما كنت أود أن أعرف أين يقيمون، فقد سررت في أثرهم عن بعد، حتى حائلة الغابة، حيث أفرقت كذلك فقط أنهم لا يقيمون في أي مكان.

«عندك قال أحدهم: «هل يجب نشر الحبيبة» فرد الآخر: كلا بالتأكيد! هذه ليلة عظمى جميل جداً».

«وقال الثالث وهو يعد الإبراد: هؤلاء الناس لا يحسون بالموسيقى، وسأدعهم يرقصن كالديبة. من حسن الحظ أنا قبل مضي شهر سوف تكون في النساء، حيث ستجد شعباً أجمل».

«وقال واحد من الاثنين الآخرين: ربما كان من الأفضل لنا أن نتجه إلى أسبانيا، فليشتاء يزحف؛ لنهرب قبل الأمطار ولا نلن غير حلقومت».

«لقد حفظت كل ما قالوا، كما ترون. ثم شرب كل واحد

منهم طامساً من العرق ورقنوا للنوم ووجوههم متجهة نحو
النجوم. ولقد روايتني الرغبة في البداية في أن أرجوهم أن
ياخذوني معهم وأن يعلموني العزف على آلاتهم؛ لكنني لم
أجرؤ على ذلك، لا ريب لأن من الصعب جداً دائماً التغدغ فرار
حاسم حيث أي شيء، وكذلك لأنني خفت أن يدركني أعلي
قبل أن أكون خارج فرنسا.

والحال أن مظهر قلة الاهتمام من جانب الرفاق الثلاثة
الآخرين قد دفعني إلى الاعتقاد بأن هذا الصغير هو بالفعل خبر
مفهوم. تأملت بانتباه وكان في عيني ملي وجهه ما لا أعري أي
نصيح مبكر فائق يؤدي عموماً إلى إبعاد التعاطف بينما أثار، لا
أعري لملأ، تعاطفي، إلى الدرجة التي خاضرتني عندها للحظة
فكرة غريبة مؤداها أنه قد يكون لي أخ غير معروف لي أنه
نقي.

كانت الشمس قد غربت. وحل محلها الليل المهبب.
وتفرق الصبيان، فمضى كل واحد منهم، دون أن يدري،
بحسب الظروف والمصادفات، إلى صياغة مصيره وإثارة
استكثار لويه والانتداب إلى المعجذ أو إلى العار.



صولجان باخوس

إلى فراتز ليست

ما هو الصولجان؟ بحسب المعنى الروحي والشمري، هو رمز كهوتي في أيدي الكهنة والكاهنات الذين يمجّدون الإله الذي يتحدّثون بلسانه ويخدمونه. أما من الناحية المادية فهو ليس أكثر من عصا، عصا خائصة، دعامة لحشيشة الديدار، عصا سائلة للفكرمة، بسطة وصلية ومستقيمة. وحول هذه العصا، في تعرجات عشوائية، تلعب وتمرح سيقان والأزهار، هذه تنطوي وتهرب وتلك تميل كأجراس أو كأفئذاج مقلوبة. ومن هذا التركيب للمخطوط والألوان، الرقيقة أو الصارخة، تنشئ حالة مذهشة. ألا يمكن أن يقال إن الخط المنحني والمزلق يغزلان الخط المستقيم ويرقصان حوله في عشق صامت؟ ألا يمكن أن يقال إن جميع هذه التزيينات الناعمة، جميع كلوس الزهور هذه، التفجارات الروائح والألوان، تؤدي طقس رقصة فاندانجر حول تلك العصا الكهوتية؟ وعلى أية حال، من هو الغائي الطائش الذي يجرف على قول ما إذا كانت

الأزهار والزينة قد خلقت لأجل العسا أم أن العسا ليست غير
 ذريعة لإبداء جمال الزينة والأزهار؟ إن الصولجان هو تمثيل
 لأزواجيتك المدهشة، أيها السيد لقوي والمبجل، عزيزي
 ياخوسني القلة المفلرة والهاهمة. لم يحدث قط أن قامت حورية
 أثار حنقها ياخوس الذي لا يشهر بهز صولجانها على رؤوس
 وفيقاتها الممسوسات بذلك القدر من القوة والهورى الذي تطلق
 به نبرعك على أفئدة إخوانك. - العسا هي إرادتك، المستقيمة
 الحازمة التي لا تنزعزع، والأزهار هي نزعة خيالك حول
 إرادتك، إنها العنصر الأنثوي وهو يؤدي حول الذكر استغرائه
 المبهية. خط مستقيم وخط متعرج، قصد وتعبير، صلابة
 الإرادة، الثواء الكلمة، وحدة الغاية، تنوع الوسيل، يا مزيج
 الشرخ الجبار الذي لا يتجزأ، من هو المحلل الذي قد نواته
 لتشجاعة الكرهية على تجربتك وفصل عناصرك؟

عزيزي ليست، غير الضبابات، وراء الأنهار، فوق السعدن
 حيث تنشد البياتوات تشيد مجدك، وحيث تترجم العبادة
 حكمتك، في مكان ما تكون فيه، في إشرافات المدينة الأبدية
 أو في ضبابات بلاد حاملة بعزها جاسرينوس، مرشداً أختيات
 اشتهاه أو أختيت أتم فائق للوصف، أو مسجلاً على الورق
 تأملاتك الصعبة، يا منشد الشهرة والعذاب الأبديين، أيها
 الفيلسوف والشاعر والفنان، أحييت في الخلود

XXXXIII

اسكروا

لا بد للمرء من أن يكون سكراناً دائماً. تلك هي الخلاصة :
تلك هي القضية الوحيدة . فلكي لا تشعروا بعبء الزمن الفادح
الذي يحطم كواهلكنم ويحتكنكم إلى التراب، لا بد لكم من أن
تسكروا بلا هوادة.

ولكن بماذا؟ بالخمر أو بالشعر أو بالفصيلة، بحسب ما
تهوون. ولكن اسكروا.

وإذا حدث مرة، على سلاطيم قصر أو على العشب الأخضر
لحفرة أو في الوحدة الكثيفة لغرفتك، أن أغتت، لأن السكر قد
تراجع أو لبده بالفعل، اسأل الريح والموجة والنجمة والمصفور
والساعة وكل ما يهرب وكل ما يتأوه وكل ما يدور وكل ما يفر
وكل من يتكلم، اسأل عن الوقت، وسوف تجيبك الريح
والموجة والنجمة والمصفور والساعة : «إنه وقت السكر! لكي
لا تكونوا عبيداً مملئين للزمن، اسكروا» اسكروا بلا توقف!
بالخمر أو بالشعر أو بالفصيلة، بحسب ما تهوون.

إنهذه السرعة!

مائة مرة بالفعل بزغت الشمس، متألقة أو متألعة، من هذا الحوض الشاسع لبحر الذي لا تكاد تبين ضفافه، مائة مرة غطت ثانية، متقدة أو كابية، في حمامها المسائي الرحيب. مثل عدد من «أيام»، كان بوسعنا أن نتأمل الجهة الأخرى لطقة الزرقاء وأن نفتش شفرة الأبجدية السماوية للجهة الأخرى من الأرض. كل واحد من المسافرين كان يتأوه ويدعهم. وبدأ أن اقتراب اليابسة يزيد من حدة معاناتهم. فراحوا يقولون: «متى إذا سوف نكف عن التوم نوماً بهذه المروج وترعجه رياح تهادر أعلى منا؟ متى سوف يكون بوسعنا أن نأكل لحماً ليس مملحاً كاللحم الكريه الذي يحصلنا؟ متى سوف يكون بوسعنا أن نهضم في مقعد ثابت؟».

كان هناك من يفكرون في أسرهم، من يأسفون لزوجاتهم الخائبات والكريهات وفريتهم الضياع. كلهم كانوا ممسوسين بصورة الأرض الغائبة بحيث إنهم، في طلي، قد يأكلون العشب بحماسة تفوق حماسة البهائم.

أخيراً ظهر ساحل « وراينا، ونحن نظرب، أنا يلزله الأرض
رائحة، فاتحة. وبدا كأن موسيقىات الحياة تنبجس منها في همس
غامض وأه من هذه الشيطان، الثرية بالنباتات الخضراء من كل
نوع، تنفوح رائحة زكية للأزهار والشعاع وتصل إلى مسافة عدة
فراسخ.

سرعان ما غمر الحبور الجميع، وتخلّى كل واحد عن
مزاجه الكئود. ونسيت جميع الشجارات، وغفرت جميع
الإساءات المتهمة؛ ومحييت من الذاكرة جميع الميآرات
المستفزة عليها، وتهددت الأحقاد كالمدخان.

وحدي أنا كنت حزينا، حزينا بشكل يفوق الصور. وشيهاً
بكلهن ينتزعون من إلهي، لم يكن يوسعي، دون مرارة البهمة،
أن أنفصل عن هذا البحر مفرط الغواية، عن هذا البحر الذي لا
نهاية لتنوعه في بساطته المخيفة، والذي يبدو أنه يحتوي في
فائه ويصور بالعابه وأشكاله وطعنه وإبتهاماته أمزجة وعدايات
والتشادات جميع الأنفس التي عالمت والتي تحيا والتي سوف
تحيا!

وبينما كنت أقول وداعاً لهذه الفتنة التي لا مثيل لها،
أحسست أنني مقهور حتى الموت، ولهذا، عندما قال كل
واحد من رفاقي: «أخيراً!» لم يكن يوسعي إلا أن أصرخ:
«أبهذه السرعة!».

لكنها كانت الأرض، الأرض بخصوبتها، بأهوائها،
برطاباتها، بأعيانها، كانت أرضاً غنية وبهية. عامرة بالزهور،
ترسل لنا عطرأً طرياً من الورد والعسك، وتصلنا منها موسيقىات
الحياة في حمسة عائلة.



النوافذ

ذلك الذي ينظر من الخارج عبر نافذة مفتوحة، لا يرى أبداً من الأشياء قدام ما وراء من ينظر إلى نافذة موصدة. وما من شيء أعمق وأكثر خفاء وأكثر خصوصية وأكثر غماسة، وأكثر غتة من نافذة مضاعفة بشمعة. وما قد يراه المرء في ضوء الشمس هو دائماً أقل إثارة مما يحدث وراء نافذة. في هذا الغيب الأسود أو العنبر لحيا الحياة، نحلم الحياة، نكابد الحياة.

وراء موجات الأسقف، ألمح امرأة ناضجة، متجمعة بالفعل، فقيرة، تميل دائماً على شيء ما، ولا تخرج أبداً، من سيمائها، من ثيابها، من إيماءاتها، من لا شيء تقريباً، أعيد صوغ حكاية هذه المرأة، أو بالأحرى أسطورتها، وأحياناً ما أحكيها لنفسي وأنا أهي.

ولو كانت رجلاً عجوزاً فقيراً، لأعدت صوغ حكايتها بالسهولة نفسها.

أرقد وأعتري بآتي عشت وكابنت في آخرين فبري.

قد تقولون لي: جعلت متأكد من أن هذه القصة هي

اللقمة الحقيقية؟». ما أهمية ما قد يكون عليه مواقع الموجود
خارجي، إن كان قد ساعدني على العيش وعلى الإحساس
بوجودي وبماية وجودي؟



الرغبة في الرسم

قد يكون الإنسان تقيماً، لكن ما أسعد الفنان الذي تمزقه
الرغبة!

أحترق بالرغبة في رسم تلك التي ظهرت لي نادراً جداً
وهزت سريعاً جداً، كشيء جميل يوسف لفقده خلف المسافر
الذي يعدو في الليل، ما أطول اختفاؤها بالفعل!

إنها جميلة، وأكثر من جميلة؛ إنها مذهشة، فيها تفيض
الحلقة: وكل ما تلهم ليلى وعميق، حينها كهفان يلمع اللغز
فيهم المعلنات غموضاً، وتقرنها نفسي كالبرق: إنه انفجار في
الخصامات.

فلاقلونها بشمس سوداء، إن كان بالإمكان تصور نجم أسود
يشتر النور والغبطة. لكنها تذكر بشكل تلقائي أكثر بالقمر،
الذي لا ريب في أنه قد ترك عليها أثره المخيف؛ ليس القمر
الغزليات الأبيض، الذي يشبه عروساً يرددة، بل القمر الغيبث
والمسكر، المعلق في قلب ليلة عاصفة والذي توجده السحب
الراكضة؛ ليس القمر الوضيع الوفور الذي يزور نعاس الرجال

الأطهار، بن القمر المشتري من السماء، القملوب والمخاط
الذي ترغمه ساحرات نيساليا بقسوة على الرقص على المشب
المفروع!

في جبينها الصغير تسكن الإزادة الثابتة وحشق القريسة. إلا
أنه، أسفل هذا الوجه المزيج، حيث يبحث متطاران متحركان
عن المجهول والمستحيل، تنلجس، بهمال لا يمكن التعبير
عنه، غيبوبة قم كبير، أحمر وأبيض، ولينيد، تجعل المرأة
يعلم بمعجزة زهرة رائعة نائمة في ساحة بركانية.

هناك نساء يلهعن الرغبة في قهرهن والاستمتاع بهن، لكن
هذه المرأة تلهم الرغبة في الموت ببطء تحت نظرها.



XXXVII

نَعْمُ الْقَمَرِ

القمر^(١)، الذي هو النزوة نفسها، تنظر عبر النافذة بينما كنت
تأمن في مهدك وقال لنفسه: «هذه الطفلة تروى لي».

وربط بنعومة سلعه السحلي، ومر دون سحب عبر النافذة.
ثم مال عليك بالرفقة الرهيفة لأم ونشر ألوانه على محبك. ملأنا
عبيك من جراء، فلك ظلاً حضراوين وظلت وحتك شاحنتين
بشكل غير عادي. تسعت عينك اتساعاً عربياً من تأمنهما هذا،
الرائر؟ وغالقت برقة بالغة بحيث استندت بك من جراء ذلك
رغبة أبدية في البكاء.

لكن القمر، في توسع فرجه، غير العرقة كلها، كمحيط
هوئي فوسغوري، كسم مصي، وكل هذا الضوء الحي فكر
وقال: «سوف تتأثرين إلى الأبد بليتي». سوف تكونين جملة
مثلي. وسوف تحيي من أحب ومن يحبني: لعماء، السحب،
الصمت والليل، البحر الواسع والأخضر، لعماء الذي بلا شكل

(١) القمر والضوء، مؤلف في الفرنسية - ٢٠٠٠.

محدد ومتعدد لأشكال: المكان الذي لن تكوني فيه، العائق الذي لن تعرفه، الأزهار الوحشية، المعطور التي تؤدي إلى الهدمان، القطط التي يمشي عليها فوق السيارات والتي تتأوه كالنساء، بصوت أبح وعذب!

«وسوف يعشقتك عشاقى ويغزلت من يغزلونى». سوف تكونين ملكة رجال ذوي عيون خضراء حافقتهم أيضاً في ملاطفتي الليلية، ملكة من يعشقون البحر، البحر الواسع، الصاخب والأخضر، الماء الذي بلا شكل محدد ومتعدد الأشكال، المكان الذي ليسوا فيه، المرأة التي لا يعرفونها، الأزهار الخبيثة التي تشبه ساحر ذبابة مجهولة، المعطور التي تكفّر الإراوة والحيوانات المتوحشة والشهوانية التي هي رموز جنونهم».

ولأجل هذا، أيتها الطفلة المدللة بعزيرة الملحونة، أرقد الآن عند قدميك، باحثاً في كل شخصك عن انعكاس لإلهة الصغيفة، المرأة كاشفة لطوب، المرسعة السامة لجميع المحنولين.



أيهما الحقيقية؟

عرفت واحدة اسمها بينديكتا كانت تشيع ما هو مثالي في
الجزء وكانت حينها تشران الشفاء العظيمة والجمال والمجد
وكل ما يجعل المرء يؤمن بالخلود.

لكن تلك لفظة المعجزة كانت جد جميلة بحيث يتعذر أن
تحيا طويلاً؟ ومن ثم فقد ماتت بعد أيام قليلة من تعرفي عليها.
وأنا نفسي الذي دفنتها، في يوم غرّك الربيع فيه ميطرته حتى
في الحماقن. أنا الذي دفنتها، معزولة تماماً في نحر من
الخشب المعطر الذي لا يفسد كأحطاف الهند.

وبينما ظلت عيناى مثلثتين على المكان الذي دفن فيه
كثري، رأيت فجأة كأننا صغيراً يشبه العثة على نحو فريد، قال
لي وهو يتفجر من الضحك، بينما كان يحرك قدميه على
التراب القوي بعنف هستيري وغريب: «إني بينديكتا الحقيقية»
إنني هي، ولغة شهيرة! وعقاباً لحماقتك ولعمائك، سوف
تحبلي كما أنا!.

لكنني أجبت، غاضباً: «كك كك كك» ولكي أؤكد بشكل

أقوى على رفضي، حيث الأرض بطلدى خطفاً عنيفاً جداً
بحيث إن ساقى العزلات حتى الركبة في القبر حديث العهد
وبحث إني كذشب وقع في المصيدة أطل. إلى الأبد ربنا،
وهين قبر ما هو مثالي.



جواد أصيل

دعيمة هي ثامناً، ومع ذلك فهي عطبة!

الزمن والحب وسامعاً بمخاطبهما ودأباً يقسوا على ما
تنزع كل دقيلة وكل قبلة من الشباب والتضارة.

دعيمة هي بالفعل، فهي نملقة، أثنى عنكبوت، بل هيكل
عضمي، إن شئت، لكنّها أيضاً شريب، بلسم، وثبة! إنها،
باختصار، عطبة.

لم يفلح الزمن في كسر التناغم الملائق لعشيتها ولا الرشاقة
التي لا لغنى لبيتها. لم يفسد الحب علوية والتحتها الطفولية؟
ولم يتزع الزمن شيئاً من شعرها الغزير الذي تفوح منه على
هيئة عطور وحشية كل حيوية الجنوب الفرنسي الفائرة نيم،
إكس، آرل، كيبورد، تاريون، تولوز، مدن الشمس المباركة،
العاشقة الساحرة!

بلا طائل نهشها الزمن والحب نهشاً ضارياً، فلم يفلحوا في
الخرق الفتنة الدامسة، ولكن الأبدية، لصدرها الصياني،
قد تكون مجهدة، لكنها ليست مكدودة، فهي علوية دائماً،

تذكرُ المرأةُ بذلك الجيلَ العزيزَ الأصغرَ الذي تمزجنا حينَ الهادي
الخير، أكانت تجر حنظلوا أم عربة قفل ثقيلة.

ثم إنها جد هذبة وجد مشبوبة المشاعر فهي تحب كما
يحب الناس في الحريف، ويقال إن مداخل الشتاء تشعل في
قلوبها نورا جديدا، وإن الاستسلام لرقتها لا يجبر اليأس إلى أي
سأم.



المرأة

رجل بشع يدخل وتعمري في المرأة.

«لماذا تعمري في المرأة، وأنت لا يمكنك أن تری نفسك فيها إلا وصيبيك الغم؟».

الرجل البشع يجيبني: «سيدي، بحسب مبادئ ثورة ٨٩ الخالدة، فإن الناس كلهم سواسية في الحقوق؛ ومن ثم فعن حقي أن أرى نفسي في المرأة، متشرحاً أو مقتصماً، فهذا لا يخص سوى ضميري».

باسم الحمر المظلم، لانتك أنني كنت على حق؛ أنا من الناحية القانونية، فإنه لم يخطئ.



الهيئة

الهيئة مقام جميل لروح متعبة من صراعات الحياة. وحياة السماء، تكويبت السحب المتحركة، تلونات البحر المتبدلة، يريق الفناوات، كلها موشور مناسب يشكل فائن لإمتاع العيون دون إرهاقها. الهيدات الفارعة تلسفن، ذات الشجيرات المعقدة، التي يسمها اضطراب الموج بتأوجحات متناغمة، تحفظ في الروح مذاق الإيقاع والجمال. ثم، خاصة، هناك نوع خفي وأستقرطي من المتعة لمن لم يعد لديه فضول أو طموح، متعة أن يتأمل، وهو مضطجع في لمقصورة العالية أو وهو مستند على حاجز الموج، كل تلك الحركات لمن يدخلون أو لمن يعفون، لمن ما تزال لديهم قوة الإدراك، والرغبة في السفر أو في التراء.



بورتريهات العشيقات

في صالون صغير للرجل، أقعدت في غرفة تدخين متصلة
بوتر يافخ للعب القمار، راح أربعة رجال يدخلون ويحتسون
الحمر، لم يكونوا بالضبط لا شباباً ولا عجائز، لا مسيحين ولا
دميحين؛ لكنهم، عجائز كانوا أم شباباً، كانوا يتميزون بتلك
السماة التي لا يتعد تمييزها، سماة من خيرة التهجة طويلاً،
كانوا يتميزون بتلك الشيء الذي لا سبيل إلى وصفه والذي لا
أعرف ما هو، بتلك الشجن البارد والساختر الذي يقول
بوضوح: «لقد علنا حياة حافلة، ومارلنا بحث عما يمكننا أن
نحبه ونحن له الظهير».

نحن أحدهم نحدث حول موضوع نساء، وكان من شأن
عدم الحديث حين المرأة أن يكون أكثر حكمة، إلا أن هناك
أناساً واسعي لأفئ لا يعرفون، بعد الشرب، «الأحاديث
المبتذلة». هتفت يستمع لهم، إلى من يتحدث كما لو كان
يستمع إلى موسيقى رائعة.

قال ذلك المتحدث: «كل الرجال كانوا من عصر شيرويك»؛

ذلك هو الزمن الذي يحتضن فيه المرء، دون شعور، ساق
أشجار البلوط، نظراً لغياب حوريات الغابات، تلت أولي
موجبات الحب. وفي المرحلة الثانية، يبدأ المرء في الاختيار.
لكن لفترة على الثروي قبل حسم الاختيار تخيف بالفعل.
عندئذ يبحث المرء بحس من الجمال، وبالنسبة لي، ساذجي،
فإنني أفتخر بأنني قد وصلت، منذ ولدت طويل، إلى زمن
للمرحلة الثالثة المخرج، حيث لا يكفي الجمال نفسه إذ لم يكن
متيلاً بالمعطر والحلى، إلى آخره، بل إنني سوف أتعرف بأنني
أضبح أحياناً، كما لو إلى سعادة مجهولة، إلى درجة رابعة ما
يحجب أن ترمز إلى الهدوء المطلق. لكنني، خلال حياتي كلها،
ما عدا عمر شيريدان، كنت أكثر حساسية من أي أحد آخر تجاه
غبوة النساء المزخعة وتفاعلهن المثيرة للسلط. إذ ما أحبه
خاصة في الحيوانات هو برائتها لتحكموا إذا إلى أي حد كان
هلي أن أعالي على يد عشيقتي الأخيرة.

كانت أمة غير شرعية لأحد لأمراء. ومن دغ القول أنها
كانت جميلة، وإلا فلماذا تخدلتها عشيقتي؟ لكنها أقدمت
هذه الميزة المقلبة بطمروح غير لائق وذميم. كانت امرأة تود
دائماً أن تؤدي دور الرجل. فأتيت لست رجلاً وأنا لم كنت
رجلاً من بيت نعين الاثنان، أنا الرجل!، تلك كانت الكلمات
المكررة التي لا نحتمل والتي كانت تخرج من فمك الغم الذي

لم أرغب في أن تخرج منه مخلقة غير الأنثى. ويثان كتاب
أو قصيدة أو أوبرا سمحت بأن يندعني إعجاب بها، كانت
تقول على الفور: «لعلك تعتقد أن ذلك جد قوي؟ وهل أنت
قادر على أن تحكم على نفسك حكماً عادلاً؟». وكانت
تجادل.

وكانت يوم، بدأت تنكب انكباً شديداً على دراسة الكيمياء،
بحيث إنني وجدت منذ ذلك الحين بين نفسي وفهمها ستاراً من
زجاج. وعلاوة على كل ذلك، كانت امرأة مطرقة الاحتشام.
وانو حدث أحياناً وقادتها بالهامة عشق مسرفة إلى حد ما،
كانت تشنخ كمغضبة شديدة الحساسية...

قال أحد الثلاثة الآخرين: وكيف انتهى ذلك؟ لا أعرف
عك أنك طويل الصبر.

فستانف لقالاً: الرب يجعل الدواء في الدواء. ذات يوم
وجدت هذه المنبرقة، التواقة إلى القوة المثالية، في خلوة مع
خادمي، وفي وضع أرغمني على الانسحاب دون أن يشعر
بذلك حتى لا أحجلهما. وفي المساء صرقتهما معاً بعد أن
دفعت لهما متأخرات أجرهما.

استأنف المطالع: «بالنسبة لي، ليس هناك من أشكوه سوى
نفسي. فقد جاءت المساعدة لكي تقيم معي، لكنني لم أعرف
عليها. في هذه الفترة الأخيرة، كان القدر قد وهبني الاستماع

بامرأة كانت الأكثر عدونة والأكثر استقلالاً والأكثر انخراطاً بين المخلوقات، وكانت مستعدة دائماً ودون حماس أبهى، أريد ذلك تماماً، لأنه على مرآك، ذلك كان جوابها المعتاد. لكنكم لو خسرتم بالعصا هذا الجدار لو هذه الأريكة لا تزعجكم منهما تأوهات أكثر من تلك التي تزعجها من عشيقتي قوربات الحب الأكثر جنوناً. بعد ستة من حياتنا المشتركة، اعترفت لي بأنها لم تعرف المتعة قط. فنقرت من هذه العبارة غير المتكافئة، ثم تروجت تلك الفتاة التي لا مثل لها، وفيما بعد، رافقتي رغبة في لقاءها، وعندما حدث ذلك قالت لي وهي تشير إلى ستة أطفال وصبيين: احسناً صديقي العزيز، إن الزوجة ما تزال عذراء كما كانت عشيقتك. لم يكن شيء قد تغير في هذه الأنسة. وأحياناً ما أدم على فراقها: كان علي أن أتزوجها.

غرق الآخرون في الضحك، وقال ثالث بدوره:

«ها سادة، لقد عرفت متعاً لعلكم تكونون قد أهملتموها. أقصد الهزلي في الحب، وهو هزلي لا يتدفق مع الإعجاب. لقد أصبحت بعشيقتي الأخيرة: إعجاباً أظن أنه يفوق قدرتكم على كراهية أو حب عشيقاتكم. وقد أعجب الجميع بها قدر الإعجاب أنا بها. فعندما كنا ندخل مطعماً، كان الجميع، بعد بضع دقائق، ينسون الأكل ويأخذون في تأملها. بل إن الجرسونات

والسيدة المستقولة من الخزينة كانوا يستشعرون تلك النشوة المعدية إلى درجة نسيان واجباتهم. باختصار، عشت بعض الوقت في صحبة طائفة حية. لقد كانت تأكل وتلوك وتمضغ وتلتهم وتبتلع ولكن بالمظهر الأكثر رشاقة والأكثر لامبالاة في العالم. وهكذا أبلتني لفترة طويلة في حال من النشوة. وكان لها أسلوب عذب وحالم، التحليزي وحيالي، في قول: «أنا جائعة!». وكانت تكرر هاتين الكلمتين تهاراً وليلاً وهي تبدي أحسن استناد في العالم من شأنها إثارة شغفتكم وطريقتكم في أن واحد. كان بإمكانني أن أكون نروتي بعرضها في الأسواق كوحش له أكثر من مدحوم. وقد أحسنت إتمامها! ومع ذلك فقد هزئتني...

- لكي تلعب إلى مورد أخلية، لا ريب!

- تقريباً، يبدو أنها ذهبت إلى مستخدم في الإدارة العسكرية بوسعه، غير احتمالات بعيدها، أن يزود هذه المسكينة بحماية عدة جتود. هذا على الأقل هو ما افترضته...

فقال الرابع: «أما أنا فقد كابدت عذابات فظيعة بهذا ما يؤخذ عادة على الكائن الأنثوي. أبها الفاشون المحظوظون، إنني أهدكم غير محققين في الشكوى من عيوب عشتاتكم!».

قبل هذا بتيرة جد جادة، من أجل له مظهر عذب ورممين،

وله سبحانه لكاد تكون الكبركية، مطاءة للأسف بعينين ومادتين
فالحقين، بهاتين العينين اللتين نقول نظرتكما: «أريد» أو
«يجب» أو أيضاً: «لني لا أظفر أبداً».

«لو أنك يا جد... العصبي كما أعرفك، لو أنكما أنتما
الآنسان، لك... وجد... الخواقات والخفيفان كما أنتما في
الواقع، لو أنكم كنتم اقترنتم بامرأة معبثة عرائتها، لهرتم أو
لكنتم في عداد الأموات. أما أنا فقد نجوت، كما ترون.
تخيلوا امرأة غير قادرة على اعتراف خطأ في الشعور أو في
التفكير، تخيلوا صفاء شخصية محزنة، اخلاصاً بلا تصنع وبلا
تشويق، عطوية بلا ضغط، قوة دون عنف. إن قصة حبي تشبه
رحلة لا نهاية لها على سطح نقي وأملس، كمرآة، رتية بشكل
مدوخ، من شأنها أن تعكس كل مشاعري وكل أبعاطي، بالدقة
العفارية لوهي الخاص، بحيث لا يمكنني أن أسمح لنفسني
بإمادة أو بشعور أخرق دون أن أشتعر على الفور القويخ
انصامت من جانب شعبي الذي لا يفصل عني. لقد بدا الحب
لي كوصاية. فلما أكثر المحامات التي منعتني من ارتكابها،
والتي أشعر بالأسف لأنني لم ارتكبتها وما أكثر الديون التي
دفعتها بالرغم مني، لقد حرمتني من جميع المغام التي كان من
الممكن أن استخلصها من حماتي الشخصية. وبماحدة بارقة
ولا سبيل إلى تخطيها، أقامت سداً في وجه جميع نزواتي.

وزيادة في الرعب، لم تكن تطلب احتراماً، مع زوال الخطر.
كم من مرة لم أفكر على منع نفسي من الإمساك بختقها،
صائحاً في وجهها: «كروني إذاً غير مثالية، أيتها البائسة! حتى
أتمكن من حبك دون غشيق ودون سقط». وعلى مدار عدة
سنوات، احترمتها والفتب عليّ بالكرامية. وأخيراً، لم أكن أنا
من ماتت من جراء ذلك!.

قال الآخرون: آه! إذاً ماتت هي؟

- نعم! لم يكن بإمكان الأمور أن تستمر هكذا. كان الحب
قد أصبح بالنسبة لي كليبوساً مضيقاً، الخلبة أو الموت، كما
نقول السباسة، ذلك كان الخير الذي فرضه على المفترقات
مساء، في غابة... على شاطئ بحيرة... بعد نزعة محرقة،
حيث كانت حيثما نعكس، لها، حذوية السماء، وحيث كان
للي، لي، متظيلاً كالجحيم...

- ماذا؟

- كيف؟

- ماذا قصد؟

- لقد كان ذلك حتمياً. خلاصتي شعور قوي بعدالة أن
أضرب أو أهبين أو أصرف خادماً لا يأخذ عليه. إلا أنه كان
لا بد من توفيق هذا الشعور مع الرعب الذي يته هذا الكائن في
صدري! الشخص من هذا الكائن دون حرمانه من الاحترام.
وماذا كنتم تريدون مني أن أفعل بها وقد كانت متعبة؟

نظر الرفاق الثلاثة الآخرون إلى هذا الأخير نظرة ملتبسة ومخبوطة خيفة خفية وكانهم يتظاعرون بأنهم لا يفهمون وكانهم يعترفون غشياً بأنهم لا يشعرون، فيما يخصهم، أنهم قادرون على فعل صارم كهذا، وإن كان ملحوظاً بما يكفي من جهة أخرى.

ثم طلبوا زحاجات خمر جديدة لكي يقتلوا الوقت الذي يجعل الحياة جد قاسية ولكي يزدوا سرعة الحياة التي تناسب هذا البطء الشديد.



XLIII

الرامي المذهب

بما أن العربة قد اخترقت الغابة، فقد أوقفها قرب مرمى، قائلاً إنه سوف يكون من المناسب له إطلاق بعض الرصاصات لقتل الوقت. قتل هذا الوحش، أليس ذلك هو الشاغل الأكثر عادة والأكثر شرعية لكل إنسان؟. . . ومد يده برقة إلى زوجته العزيزة، اللطيفة والكريمة، إلى تلك المرأة المحيرة التي يدين لها بالكثير من السرور وبالكثير من الآلام وربما أيضاً بجانب عظيم من عبقريته.

فمررت عدة رصاصات بعيداً عن الهدف المقصود، بل إن واحدة منها قد اخترقت السقيفة؛ وبما أن المخلوقة الجميلة قد ضحككت بحتون، ساخرة من عدم براعة زوجها، فقد التفت إليها فجاء وقال: انظري إلى تلك الدمية، هناك، جهة اليمين، تلك التي تشبه بألفها في البحر، ذات السياء شديدة العجرفة، حسناً ملاكي العزيز، إنني أتحيل أنها أنت. وأغمض عيني وأطلق الزناد. فتمزقت رأس الدمية تمعاً.

عندئذ مال على امرأته العزيزة، اللطيفة، الكريمة،

ملهمته التي لا مفر منها والتي لا نرحم، وقيل بعدها في
احترام وأخفاف: «أما يا ملائكة العزيز، لكم أشكرك على
براعتها».



الحساء والسحب

محبوبي الحساء الصغيرة دعني إلى الحساء، وعبر التافهة
 المفتوحة لحجرة العائدة تأملت الأشكال المتحركة التي يصوغها
 الرب بالأبخرة، الأشكال الرائعة لما لا يُحس. وقلت لنفسي،
 عبر تأملاتي: لكل هذه المشاهد الحارقة جميلة ورحبة جمال
 ورحابة عيني محبوبي الجميلة، الحساء الصغيرة البشعة ذات
 العينين المخفراوين^٩.

وليلة تلتيت غربة حيفة في ظهري، وسمعت صوتاً أجشاً
 وفنائاً، صوتاً هستيرياً وكأن شراب ماء الحياة قد أُلْبِغ، صوت
 محبوبي الصغيرة العزيرة التي قالت: «الآن تسارع إلى تناول
 حسائك، أيها الدلام المقدس لتاجر السحب»^٩.



المرمى والجبانة

حديقة منتقى الجبانة - قال منزهنا الألفنة فريدة، لكنها مناسبة تماماً لأن يشعر المرء بالظلمة! ومن المؤكد أن صاحب هذه الحديقة قادر على تقدير هوراسي والشعراء تلامذة أليقور. بل ربما كان يعرف الرهافة العميقة للمصريين القدماء الذين كانوا يرون أن الحياة لا تكون ظاهرة من غير هيكل عظمي، أو من غير رمز ما لقصر الحياة.

ثم دخل، وشرب كأساً من البيرة قبلالة الحفائير ودخلن سيجاراً ببطء. ثم استولت عليه الرغبة في الهبوط إلى هذه الجبانة، التي كان عشبها غالياً جداً وشديد الإغراء، بينما كانت شمس نيرة جداً تهيم على المكان.

الواقع إن الضوء والحرارة كانا مضطربين هناك، وكان بالإمكان القول إن الشمس السكوى تنمده مسرخية بكل طوليها على بساط من الأزهار الرائعة التي تخصصت من القناء. كان هدير ضخيم للحياة يعلل الجو - حياة الأشياء الصغيرة إلى أبعد حد - لقطعه على فواصل زمنية منتظمة طرقة طلاقات نارية من

مرمرى مجاور، كانت تدوي كالتقجار سدائدات الشهبان في طنين
سيمفونية خفية.

عندئذ، تحت الشمس التي سحبت دماغه وفي متاح عطور
الموت المحترقة، سمع صوتاً يهمس تحت المغيرة التي كان
جالساً عليها. وكان هذا الصوت يقول: «اللعة على مراميكم
وخداياكم، أيها الأحياء المزعجون، الذين قلما تهتمون
بالحوى وبراحتهم المقدسة؛ اللعة على طموحاتكم، اللعة
على حساباتكم، أيها القاتون نافذو الصبر، الذين يجهلون
لداسة فن القتل في محراب الموت؛ لو علمتم مدى سهولة
الفوز بالتمن، ومدى سهولة الوصول إلى الغاية، وإلى أي حد
يعد كل شيء عديمًا، ماحداً الموت، لما أزعجتكم أنفسكم كل
هذا الأوهام، أيها الأحياء الذين يجرؤون جري الوحوش، ولما
أزعجتكم كثيراً وفاد أولئك الذين راهنوا منذ زمن بعيد على
الغاية، الغاية الحقيقية الوحيدة للحياة المظية!».



ضياع الهالة

«يا عجباً! أنت هنا يا عزيزي؟ أنت، في مكان موبوء!
أنت، شارب الجواهر! أنت، أكل الرقيق! الحق إن في ذلك
ما يدعشتي.

- عزيزي، أنت تعرف رعيي من الجبال والعيون. منذ
قليل، بينما كنت أمير الطريق، بسرعة قصوى، وأهمل في
الوحد، عبر هذه الفوضى المتحركة حيث يصل الصوت بسرعة
من جميع الجهات في آن واحد، نزلت هالتي من على
رأسي، في حركة مفاجئة، وسقطت في وحد الطريق
المرصوف بالحصى. لم نواتي الشجاعة لالتقاطها، وقد رأيت
أن ضياع ما يدل على مكاتي أعون من تعظيم عظامي. ثم إنني
قلت لنفسي رب ضارة نالعة. فبوسعي الآن أن أتجول دون أن
يتعرف علي أحد، وأن أرتكب الأفعال الحفيرة وأن أستسلم
للفجور، كالفاتين العامين. وهأنذا، كما ترى، أشبهك تماماً.

- يجب على الأقل أن تعلن عن ضياع هذه الهالة أو أن
تطلب من مأمور الشرطة البحث عنها.

- كلا بالتأكيد! إنني هنا على ما يرام. أنت وحدك الذي
 تعرفت عليّ. ومن جهة أخرى. فلنني أشعر بالضجر من سمو
 المقام. ثم إنني أظن مسروراً أن شاعراً وديناً ما سوف يلتفتها
 ويحتمرها برفاحة. أن تجعل إنساناً سعيداً، يا للجنة! خاصة إذا
 كان سعيداً من شأنه إضحاكي! فكلو في X أو في Y وأخيراً
 كم سيكون ذلك مضحكاً!



الآنسة بشرط

حائما وصلت إلى آخر الضاحية، تحت الهواء الخاز،
أحسست بذراع تنساب برقة تحت فراحي، وسمعت صوتاً قال
لي في أذني: «هل أنت طيب، سيدي؟».

الثفت! كانت تلك فارعة، قوية البنية، ذات عيين مفتوحتين
عن آخرهما، مائكهاها حليف، وشعرها يطير في الهواء مع
شرائط قلنسوتها.

«ألا لست طيباً. دعيني أمر. - أوه! بلي! أنت طيب،
بني أرى ذلك موضح. تعال إلى بيتي. سوف ترضى عني
تماماً، تعال! - لا شك أنني سوف أذهب لأراك. ولكن فيما
بعده، بعد الطيب، اللعنة!... قالت وهي ما تزال متشبكة
بذراحي، ومتفجرة في الضحك: «أما إذا أنت طيب فلك،
عرفت كثيرين من هذا النوع. تعال».

أحب اللفز بهوس، إذ يراودني الأمل دائماً في حله. ومن
ثم فقد تركت نفسي لتجربتي هذه الرفيقة، أو بالأحرى هذه
الأحبة غير المتوقعة.

سأعطي وحيد الكوخ، بالامكان أن نجده عند كثيرين من الشعراء الفرنسيين القدماء المشاهير. تبلى حزانة لم يرصدوا ريشته: كان يورترهان أو ثلاثة يورترهات لأطباء مشاهير معلقة على الجدران.

يا للتدليل الذي كان من نصيبي! نار عظيمة، نبيذ قوي، سيجارات. قالت لي المخلوقة المضحكة وهي تقدم لي هذه الأشياء الجميلة وتشعل هي نفسها سيجاراً: «نصرف كما لو كنت في بيتك، صديقي، كن على راحتك. هذا سوف يذكرك بالمستشفى ويلزمية الشباب الجميلة. - أه ما هذا! من أين إناء جاراتك هذه الشعرات البيضاء؟ أنت لم تكن هكذا، منذ وقت غير بعيد، عندما كنت طبيباً مساعداً لـ... . أذكر أنك أنت الذي كنت تساعد في العمليات الخطيرة. كان إنساناً يحب القسطع والبضع والفص! أنت الذي كنت تناول الأدوية والأسلاك والاسفنجيات. - وعندما كانت العملية تنتهي، كان يقول بفخر، وهو ينظر إلى ساعته: «خمس دقائق ليها السادة!» - أوه، أنا أذهب إلى كل مكان. وأعرف جيداً هؤلاء السادة».

بعد ذلك بلحظات، استأنفت لزامتها وخاطبني وهي ترفع الكفة: «أنت طبيب، أليس كذلك، يا قلبي؟».

هذه اللازمة غير المفهومة جعلني أقفز وأصبح طامعاً: لا - إننا ظننت جراح؟

- لا لا! اللهم إن لم يكن ذلك لأجل قطع رأسك عليك

اللغة!

استأثفت: انتظر، سوف ترى.

وأخرجت من دولاب حزمة أوراق، لم تكن غير مجموعة من البورتريهات لأطباء مشاهير في ذلك الزمن، من مستشفيات موران المطبوعة على الحجر، وعلى مدار عدة سنوات كان بالامكان رؤيتها مقرونة على رصيف قولير.

انتظرا هل تعرف هذا؟

- نعم، إنه X. ثم إن الاسم مكتوب أسفل البورتريه، لكنني أعرفه شخصياً.

- أعرف ذلك جيداً انتظرا! هذا Z، الذي كان يقول في محاضراته، قاصداً X. ذلك الوحش الذي يحمل على وجهه سواد روحه! وكل ذلك لأن الآخر لم يكن من رأيه في مسألة معينة! كم فصحكنا على ذلك في الكلية آنذاك! أتذكر ذلك؟ انتظرا، هذا L، الذي كان يبلغ الحكومة عن العثمانيين الذين كان يعتني بهم في مستشفى. كان ذلك زمن التمردات. كيف أمكن لإنسان جد جميل كهذا أن يكون عديم الرحمة إلى هذا الحد؟ الآن هذا M، طبيب إنجليزي شهير، وصلت إليه خلال ليلته ليأمرس. إنه يشبه آتة، أليس كذلك؟

وإذا المست رزمة محزومة، موضوعة أهياً على المنضدة

الصغيرة، قالت: «انتظر قليلاً» تلك رزمة الأطباء المساعدين،
وهذه الرزمة رزمة الأطباء الخارجيين».

وتشورت على شكل مروحة مجموعة كبيرة من الصور
الفوتوغرافية التي تمثل سمحات أكثر شبهاً بكثير.

«عندما تلقي المرأة القادمة، سوف تعطيني بورتريهك، أليس
كذلك، يا عزيزي؟»

قالت: متابعاً بدوري، أنا أيضاً، الفكرة التي تسطت علي،
ولكن، لماذا تعتقدني أنني طيب؟

.. هذا لأنك جد لطيف وجد جميل بالنسبة للنساء!

قلت لنفسي: مطلق غريب!

.. أولاً إنني قلما أخطئ في ذلك + وقد حُرقت من هؤلاء،
عندما كبيراً. إنني أحب كثيراً هؤلاء النساء الذين، بالرغم من
أنني لست مريضة، أذهب أحياناً لرؤيتهم، لمجرد رؤيتهم لا
غير. ينهم من يقولون لي ببرود: «أنت لست مريضة بالمرءة».
إلا أن ينهم آخرون يهتموني، لأنني أضع لهم.

.. وعندما لا يفهمونك... ؟

.. أجل، أجزأ بما أنني أزعجهم بلا طائل، فإني أترك
عشرة فرنكات على المدفأة. .. يا لروحة وب لعذوبة أولئك
الرجال! .. اكتشفت في مستشفى الرأفة طبيباً مساعداً صغيراً،
جميلاً كملاك، ولطيفاً! ويحمل، الصبي المسكين! قال رداً له

لي إنه لا يملك قرشاً، لأن أيوه فقيران لا يمكنهما إرسال شيء إليه. هذا متحتي الثقة. فأنا، على أية حال، امرأة جد جميلة، وبن كنت صغيرة جداً. قلت له: «تعال لرؤيتي، تعال لرؤيتي كثيراً. ومعني، لا تزج نفسك» إني لست بحاجة إلى المال». لكنك تدرك أنني جعلته يفهم ذلك بوفرة من الأساليب ثم أفل له ذلك بفظاظة؛ فقد كنت جد خائفة من جرح كبريائه، هذا الصبي العزيز - حسناً هل تصور أنني قد راودتني رغبة غريبة لا أجري على قولها له؟ - كنت أرغب في أن يأتي لرؤيتي ومعه حنية أعجزته ورويه بل وعلى رويه قليل من الدعاء».

فالت فلت بصراحة لامة، مثلما يكون رجل حساس لمحنة بحبها: «لقد أن أراك مرتدية الفستان الذي ارتديته في ذلك الدور الشهير الذي أبدعته».

أما أنا فقد استأنفت مصرأ: «لمكنتك أن تتذكري الفترة والمناسبة اللتين نشأ فيهما لديك هذا الولع الخاص جداً».

حاولت بصعوبة أن أجعلها تعيمني، وأخيراً نجحت في ذلك. لكنها أجابني عندئذ بمنطرح حد حزين بل، بقدر ما أتذكر، محاولة صنيها: «لا أعرف... لا أذكر».

أية غرائب لا يجدها المرء في مدينة كبرى، عندما ينسني له التجول والنظرة الحياة المزدهرة بوحوش يرثى... مولاي، إلهي! أنت، المخلوق، أنت، السيد، أنت الذي صنعت الشريعة

والحرية؛ أنت، المخلّك الذي يدع الأمور لمصيرها، أنت،
 القاضي الذي يعلّم أنت المظلم بالبراهن والأسباب، والذي
 ربما تكون قد زرعت في روحى مذاق الرعب لكي تحوّل
 قلبي، ككشفاء بعد حادث مفاجئ؛ مولاي، كن رحيماً، كن
 رحيماً بالمجانين والمجنونات! أيها الخالق! هل يمكن أن توجد
 وحوش أمام ناظريّ ذلك الذي يعرف وحده سبب وجودها
 وكيف وجدت وكيف كان يمكن ألا توجد؟



في أي مكان خارج العالم

هذه الحياة مصححة حيث كل مريض مسكون بالرحمة في
تغيير فراشه. فهنا يود أن يكابد أمام المدفأة، وذلك معتقد أنه
سوف يشفى بنجاح. الثالثة.

يبدو لي أنني سوف أكون على ما يرام دائماً في المكان
الذي كنت فيه، ومساءلة الانتقال هذه مسألة أناقشها بلا توقف
مع نفسي.

«قولي لي يا نفسي، أينها النفس البائسة المرتعشة من البرد، ما
رأيتك في السكن في لشبونة؟ لابد أن الجرح هناك حير، وأنتك سوف
تنتعش كعقابة. تلك المدينة على حافة الماء؛ يقال إنها مسة من
الرخام، وإن الناس هناك يكرهون النيات كرافعة عظيمة، بحيث
إنهم يقتلعون كل الأشجار. هذا مشهد يناسب مزاجك؛ مشهد
مصنوع من الضوء والمعدن، والسائل الذي يعكسهما!»

نفس لا ترد.

«ما دمت تحبين لسكنية حياً جماً، مع مشهد الحركة،
أتريدين المعجى، للسكن في هولندا، تلك الأرض المطرقة؟ قد

تسليين في ذلك البلد الذي غالباً ما أهدجيت بصورته في
المتاحف. ما رأيك في روتردام، أنت يا من تحبين عجائب
العماري، والسفن الراسية أسفل البيوت؟
نفسى تغلّ صابحة.

فقد تروق لك باتافيا أكثر؟ كما أننا سوف نجد هناك روح
أوروبا مقترنة بالجمال الاستوائي؟
لا كلمة. - أتكون نفسي قد ماتت؟

فعل وحيث إننا إلى هذه الدرجة من الفتور بحيث إنك لا
تشرحين إلا في مرضك؟ إذا كان الأمر كذلك، فلتهرب إلى
البلاد التي تشبه الموت. - سأفكر أمرنا، أينها النفس البائسة!
سأعده حقائب للسفر إلى نورثا. لنذهب إلى أبعد من ذلك
بكثير، إلى الطرف الأقصى للبطريق، إلى مكان أبعد بكثير من
الحياة، إذا كان ذلك ممكناً؛ لنستقر في القطب. هناك لا
تقرب الشمس من الأرض إلا بانحناء، والشعاعات البطيئة
للسماء وللبلبل تحمر الفروع وتكثف الرتابة، نصف العدم ذلك.
هناك، سوف يكون بوسعنا أخذ حمامات دياجير طويلة، في
حين أن أشعة الشفق القطبية الشمالية، لأجل تسليتنا، سوف
ترسل لنا من وقت إلى آخر حزماتها الوردية، كالتفكسات للعبة
جسيم تآوية!.

أخيراً، تنفجر نفسي وتنفسي بحكمة: لا يهم أين! لا يهم
أين! شرط أن يكون خارج هذا العالم!.

فلنصرع الفقراء!

على مدار خمسة عشر يوماً كنت معتكفاً في غرفتي، وكنت محاطاً بكتب النجاة في ذلك الزمن (قبل ستة عشر أو سبعة عشر عاماً)، أقصد الكتب التي تعالج فن جعل الشعوب سعيدة وحكيمة وثرية، في أربع وعشرين ساعة. ومن ثم فقد اعتلت، - أعتقد التهمت، - كل هذيانات جميع متمهذي الهناء العام هؤلاء، - أولئك الذين ينصحون جميع الفقراء بأن يكونوا عبيداً، وأولئك الذين يفتخرون بأنهم جميعهم ملوك مخلوعون، - ولن يندهش أحد من أنني كنت كذلك في حالة ذهنية تناخض الدوار أو الغباء.

لكنني بدا في أنني استشعرت، متزوية في أحماق ذهني، الجورومة المبهمة لفكرة أرقى من جميع صيغ المراءا الطبية التي تصلفت قاموسها مؤخرأ. لكنّها لم تكن غير فكرة فكرة، لم تكن غير شيء مبهم بشكل لا نهائي.

وخرجت عطشاناً عطشاً عظيماً. لأن التذوق المبهوس لقراءات ديفنة يولد حاجة مساوية إلى الهواء العظيم وإلى المتعشات.

وبينما كنت أغم بدخول حانة، مد لي شحاذ قبعة، بنظرة
من تلك النظرات التي لا تنسى والتي تطلب الصروش، لو
حركت الروح العاداة. ولو أنفجعت عين منوم مغناطيسي عن قيد
العنب.

وفي الوقت نفسه، سمعت صوتاً يهمس في أذني، صوتاً
أعرف جيداً، كان صوت ملاك طيب أو شيطان طيب، يرافقني
أينما ذهبت. وعادام سقراط كان له شيطانه الطيب، فلماذا لا
يكون لي ملاكي الطيب، ولهذا لا يكون من نصيبي،
كسقراط، أن أحصل على شهادة جنوني، موقعة من البارخ ليلي
ومن لنيه يارجي؟

هناك فرق بين شيطان سقراط وشيطاني، هو أن شيطان
سقراط لا يتجلى له إلا لكي ينهي ويحذر ويمنع، وأن شيطاني
ينفر من النصح والأيحاء والاقتراح. سقراط المالبس ذلك لم يكن
له غير شيطان ناري أما شيطاني فهو محرم عقيم، شيطاني هو
شيطان فعل، أو شيطان قتال.

والحال أن صوته قد همس لي بما يلي: لقد الآخر هو من
يشت ذلك لأمواء، والتجدير بالحرية هو من ينجح في التزاحمها
لا سواه.

وعلى العور، هجمت على شحاذي. وسلطمة وحذاء،
أقفلت له عيناً أصبحت، في ثانية، متورمة ككرة. وكسرت أحد

أظاهري في تحطيم ستين له، وبما أنني لم أشتعر أنني قوي بما يكفي، إذ ولدت رقيقاً ولم ألبس الملائكة إلا قليلاً، فإني لنكي أصوح هذا المعجوز بسرعة، أمسكته بيد من يالة ملبه وقبضت باليد الأخرى على عنقه، وأخذت أضرب رأسه بحائط يكن ما لوئيت من قوة. ووجب أن اعترف بأنني قد استيقنت ذلك بتفتيش الجوار بنظرة خاطفة وبأنني تأكدت من أنني، في هذه الضاحية المهجورة، موجودة، لوئيت طويلاً بما يكفي، خارج مدى وصول أي مرشد من مرشدي الشرطة.

بركلة موحية إلى الظهر، قوة بما يكفي لتحطيم لوحى الكتفين، نجحت بعد ذلك في طرح هذا الشئني المنهك أرضاً، ثم انتزعت فرع شجرة كبيراً كالن مانلاً إلى الأرض واهدت عليه ضرباً بالقوة العنيدة للظهاة اللهن يريهون لرفيق القطعة بليثك.

وفجأة، - يا للمعجزة! - لفرحة الفيلسوف الذي يتحقق من امتياز نظريته! - رأيت هذا الهيكل العظيم المعجوز يتطلب وينهض بقوة لم أخيلها البنة في آلة معطلة بشكل حد قريب، وبنظرة كراهية بدت لي بشير خير، هجم اللص المتهم علي وودم عيني وكسر لي أربعة أسنان، و، بفرع الشجرة نفسه، تهدس علي ضرباً بالغ العنف، - ومن ثم قبضي بملاوتي القوية قد وجهه الكبرياء والحياة.

عبدلله الثموت إليه إشارات كثيرة لكي أفهمه أنني أعتبر
 المناقشة منتهية، وقلت له وأنا أنهض بهدوئها مستطفي وواقفي:
 «سيدتي، أشتد في! أرجو أن تشرفني بأن تتقدم معي مالي؟
 ولذا، إن كنت محبة للبشرية بالفعل، أنه ينبغي أن تطبق على
 جميع إخوتك، عندما يطلبون منك صدقة، النظرية التي تكلمت
 في اجتماعها على ظهرك».

فأقسم لي أنه قد فهم نظريتي، وأنه سوف يلزم بتصانحي.



الكلاب الطيبة

إلى السيد جوزيف ستيفنس

لم أجد قط، حتى أمام كتاب عصري الشبان، من
إعجابي بيهود! لكن ما سوف أؤشده اليوم لمساعدتي ليس
روح هذا المصور للطبيعة الباذخة، لا.

من طيب خاطر أكثر بكثير سوف أحاطب شيرن، وسوف
أقول له: «أعط من السماء، أو صعد في اتجاهي الساحات
الأنليزية، لكي تهمني لأجل الكلاب الطيبة، الكلاب الفقيرة،
أغنية تليق بك، أيها المهرج العاطفي، المهرج الذي لا مثيل
له! حد مفرحاً على هذا الحمار الشهير الذي يصاحبك دائماً
في فاكهة الأجيال الأنية! ولا ينسب هذا الحمار خاصة أن
يحمل، مثلياً من بين شفتيه برقة، وسامه «الخالد».

تذهبني بدرة الشعر الأكاديمية! لست بحاجة إلى هذه
المتزمة المعجوز. أؤشده ربة الشعر الماكوفة، المدينية، الحية،
كي لمساعدني في الغناء للكلاب الطيبة، الكلاب الفقيرة،
الكلاب الملوقة بالوحل، تلك التي يتحاشاها الجميع. كما لو

كانت مصدرة بالطاعون ومربوعة بالقفل، فبحا هذا الفقير الذي
تشاركه قدره والشاعر الذي ينظر إليها بعين أخوية.

أف للكلب المتجمل، لهذا الحيوان السمين، الداعركي أو
الكينج تشارلز أو الكارلان أو الجريدان، جد المفتون بنفسه
بحيث يشب برعونة بين سافى أو على ركبتى ذئب، كما لو كان
واقفاً من أنه سوف يكون مثار إعجاب، المشاغب كطفل، الغبي
كغداة ماحية، العظ والصفيق أحياناً كخدام! أب خدعة لتلك
الضحايا ذات القوائم الأربع، المرعدة والكسولة، والتي تسمى
بالكلاب السلوقية، التي لا تحوز حتى في خطمها لمستدق ما
يكفى من حاسة الشم، لكي تلتصق أثر صديق، ولا تحوز في
رأسها المبطل ما يكفى من الذكاء لكي تلعب الدومينو!

إلى وجر الكلاب، جميع هذه الطفيليات المملة!

فلترجع إلى وجرها الحريري المنجد! أنا أغني للكلب
المملوت بالروح، الكلب الفقير، الكلب الذي لا مأوى له،
الكلب المتسكع، الكلب المهرج، الكلب الذي غريزته،
كغريزة الفيل والبوهيمي والبهلولان، تدع توجيهها الضرورة،
تلك الأم بالغة الطيبة، تلك العناية الحقيقية للمفلول!

أغني للكلاب المشؤومة، أكنس تلك التي تهيم على
وجوهها، وحيدة، في الممرات المتعرجة في المدن الكبرى،
أم تلك التي قالت للإنسان المخفول، بعين مومنة وروحية:
«خذي منك، ومن يؤمينا، قد نصنع نوحاً من السعادة».

«لن نذهب الكلاب؟». قليلاً تسأل نيسنور ووكيلان في
مقال لاشك أنه قد نسيه، ومازلت أنا وحدي، وربما سألت
يواف، فذكروا إلى اليوم.

تسألون، أيها الناس قليلو الأثياء، أين نذهب الكلاب؟
إنها تذهب إلى شغلها.

مواعيد شغل، مواعيد حب. عبر الضيافة، عبر الفلج، عبر
الروحلي، تحت القبط اللامع، تحت المطر المبهج، نذهب،
تجني، ننتظ، نمر تحت المبريات، مستشارة بالبرافيت أو
بالهوى، بالخدمة أو بالواجب، وشأنها شأننا، تستيقظ مبكراً
وتبحث عن عيشها أو تجري إلى مسرتها.

بعضها يركب في أحلال المشارف ويجي، كل صباح، في
ساعة محددة، طالياً حبة على باب مطبخ القصر الملكي؛
وبعضها الآخر يجتاز، في جماعات، أكثر من خمسة فراسخ،
لاقتسام الوجبة التي أعدها لهم إحصان بعض العذارى السنيات
اللاتي منحن قلوبهن الخالية للمحورانات لأن الرجال الأغنياء لا
يريدونها بعد.

بعض ثالث، كزئوج قارين، يقاتلون جبههم في أيام معينة،
متيمين حباً، ويحبون إلى المدينة لكي يتأفكروا على مدار ساعة
حول كلية جميلة، مهجلة إلى حد ما هي زينتها، لكنها لغزوة
وممتنة.

وكلهم جد متضيقين، دون مفكرات ودون مذكرات ودون
خائب.

هل تعرفون بلجيكا المكسولة، وهل أعجبتم مثلي بجميع
تلك الكلاب النشيطة التي تبحر بحرية الجزائر أو لبنان أو الخيل
والتي تشهد، بتأجيلها الظافرة، على القرعة المتخلفة التي
تستمرها في منافسة الحيل؟

هاكم اثنان منها يتعيان إلى مرتبة أكثر تعدداً بكثير! اسمعوا
لي أن أدخلكم إلى غرفة مهرج غائب، سرير، من الخشب،
المزخرف، دون ستائر، أغطية غير مرتبة ومربوطة بالبق،
كرسيان من القش، مقلاة من حديد الزهر، آلة أو اثنان
موسيليان لا تصلحان للمزف. أوه! لا لآلات البانس! ولكن
انظروا، أرجوكم، إلى هاتين الشخصيتين الذكيتين اللتين
ترتديان ثياباً مهلهلة وفخمة في آن واحد، وتلبسان قبعة كقبعة
الترينور أو العسكريين، وترتبان، باتباه مسخرة، القطن الذي
لا اسم له، والذي يعد على الحفلة المتأججة، وتتصب في
وسطه مغرفة طويلة، كواحدة من تلك الساريات الهوائية التي
تعلن إنجاز البناء.

ليس صحيحاً أن ممثلين بهذه الدرجة من الحماس لا
يتظفرون إلى عملهم دون أن يملأوا معدنهم بحساء قوي ومتين؟
والن تغفروا قديراً من الشهوة الحسية عند تلك الشياطين البائسة

التي يتعين عليها أن تواجه على مدار اليوم لامبالاة الجمهور
وعظم مخارج يستأثر لنفسه بنصيب الأسد وتتاول بمفرده حصة
أكثر من حصة أربعة مثقلين؟

كم من مرة تأملت، مبتسماً ومشغلاً، جميع هؤلاء الفلاسفة
قوي القوائم الأربع، السيد ليني الجانب، المتضجرين أو
المحطمين، الذين يمكن للمعجم الجمهوري أن يصفهم هم
أيضاً بشبه غزسيبي، لو كان لدى الجمهورية، جد المشغلة
بمساعدة البشر، ما يكفي من الوقت لمراعاة كرامة الكلاب!

وكم من مرة خطر ببالني أنه ربما كان هناك في مكان ما (من
يدري، على أية حال؟)، على سبيل المكافأة لكل هذه
الشجاعة، لكل هذا العسر والكدر، فردوس خاص للكلاب
الطيبة، الكلاب الفقيرة، الكلاب الملونة بالروح والمهجورة.
يؤكد سويندسينورج أن هناك فردوساً للأشراك وفردوساً
للهورلنديين!

رعاة الجرجيل ونيوكرثوس كانوا يتطرون على سبيل المكافأة
لأغانيهم المتأخرة، جنباً مائفاً، أو ثلثاً من صنع صانع أفضل أو
عزلة ضخمة الضروي. الشاعر الذي غنى للكلاب الفقيرة حصل
من باب المكافأة على صدار جميل، لونه، القوي والمائل في
أن واحد، يذكر بشموس الغريف ويجمال النساء الناضجات
ويأصيل السان مارتان.

لن ينسى أحد من أولئك الذين كانوا حاضرين في حانة شارع فيلا - هيرمودا بأي نزل تجرد الرسام من صدره لأجل الشاعر، إذ أحسن فهم أن القتل للكلاب الفقيرة شيء مستحب ومشكور.

في الأزمنة الجميلة، كان مستبد إيطالي عظيم يهدي لورنان الرائع إما خنجرًا مطعمًا بالأحجار الكريمة أو معصفاً للحفلات الملكية، في مقابل مونييت طيبة أو فريدة هجائية فلة.

وفي جميع العرات التي يرتدي فيها لشاعر صدر الرسام، يجد نفسه مجبراً على التفكير في الكلاب الطيبة، في الكلاب الفلاسفة، في أحبياب السان ماولان وفي جمال النساء الناضجات جيداً.



خاتمة

مرتاح القلب، صعدت على الجبل
حيث يمكن للمرء تأمل المدينة في امتدادها،
المستشفى، الماخور، المطهر، الجحيم، السجن،

حيث كل فاحشة تزدهر كزهراء.
تعرف جيداً، أوه أيها الشيطان، يا راعي غنائي،
أنني لا أتعب إلى هناك لأتلف دمعاً غير مجد؛

ولنأكل كخليق دامر حجوز العشقة محجوز،
أريد أن أعمل بالعاهرة الفاحشة
التي لا تكف فتتها لجهنمية عن تحليل شهائي.

فلتواصل النوم في غلالات الصباح،
لقهلة، معتمدة، مزكومة، أو قلتهبختري
في غلالات المساء المزركشة بالذهب الخالص،

أحبك، أوه أيتها العاصمة الشائنة أيتها المرمسات
وها قطاع الطرق، غالباً ما تقدمون سررات
لا يفهمها الميظنون النثويون.



المهرس

4	إلى أرمين هوشيه
9	I - الغرب
١٠	II - ياس المعمور
١٩	III - صلاة المشرق الفشان
١٢	IV - ضباب
١٤	V - القرية القديمة
١8	VI - دكّ وعده
٢٠	VII - الصيغون وفيلوس
٢9	VIII - النكب والبرورة العطر
٢٢	IX - باح الزجاج الرميه
٢٢	X - في الواحد صبا
٢٩	XI - الزوجة المتوحشة والعشقة النكبة
٢٢	XII - العطور
٢8	XIII - الأمان
٤٠	XIV - المهرج المعمور
٤٤	XV - الجارة
٤٢	XVI - الساحة
٤٩	XVII - نصف حاتم في شعر امرأة
٥٩	XVIII - الهجرة إلى السفر
٥8	XIX - لعبة القفر
٥٢	XX - هبات الجنات
٦٩	XXI - الغابات أو ابروس وفيلوس والشجرة
٦٦	XXII - شقل المساء

٦٩	XXIII - الوحدة
٧١	XXIV - المشاريع
٧٤	XXV - دوراتك الجديدة
٧٨	XXVI - هيرن الطراء
٨٠	XXVII - ديرة بطولية
٨٦	XXVIII - العملة المزيقة
٨٩	XXIX - المظاهر الكريمة
٩٤	XXX - السيل
٩٥	XXXI - المصائر
٩٦-٩٧	XXXII - مولودان بانفوس
٩٦-٩٨	XXXIII - اسكروا
٩٦-٩٩	XXXIV - ابيته الصردة
٩٩٢	XXXV - التوافق
٩٩٤	XXXVI - الرفاهة في الرسم
٩٩٦	XXXVII - يفتقر القصر
٩٩٨	XXXVIII - ابيها الحظيفة
٩٩٠	XXXIX - جرد السيل
٩٩٢	XL - المرأة
٩٩٢	XLI - العبد
٩٩٤	XLII - دوراتك العشيقات
٩٩٢	XLIII - الراعي المذهب
٩٩٤	XLIV - العشاء والسحب
٩٩٤	XLV - العزم والبهجة
٩٩٧	XLVI - ضياع الهلة
٩٩٩	XLVII - الأتسة بطونك
٩٩٥	XLVIII - في أي مكان خارج العالم
٩٩٧	XLIX - فلسفوع الفقرة
٩٩٤	L - ألعاب القوية
٩٩٧	خاتمة

هذا الكتاب

أفني للكلاب المشؤومة، أكلت تلك التي تهيم على
وجوهها، وحيدة، في الممرات المتعرجة في المدن
الكبرى، أم تلك التي قالت للإنسان المخدول، بعيون
موتة وروحية: «أخذي معك، ومن يؤسنا، لقد نصنع
نوعاً من السعادة».